

مصطفى شيخ إبراهيم حقي

أبو رفعة

مصدر هذه المادة :







رد البلاء بالاستغفار

المقدمـــة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوبة، ومكفر السيئات، يفـــرح لتوبة عباده أشد ما يفرح أحدنا إذا وجد ضالته .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .. أما بعد:

الإنسان في هذه الحياة له غاية يسعى إليها ويتجه نحوها وقـــد علمَّنا ربنا – سبحانه- أن الإنسان يجب أن تكون غايتـــه – الله- يتجه إليه – سبحانه – ويسعى للوصول إليه عن طريـــق الكمـــال الذي يتحلَّى به حتى تسمو نفسه وتتهذب مداركه .. يقول الله – تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١]. وفرار الإنسان إلى الله يكون بذكر الله والاستغفار والتضرع إليه بما علمنا في كتابه وعلى ألسنة رسله وأنبيائه الهداة المصلحين، ونظرا لأن في الآخـــرة ثوابا وعقابا فعلى الإنسان أن يفر من معصية الله إلى طاعته؛ ليفوز بثواب الله وينجو من عقابه في بوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أخي القارئ .. المعاصي قد تكثَّرت والذنوب قـــد تـــوفَّرت، والشيطان اللعين مشغول فيما قال أمام رب العالمين بالحلف الأكيد: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـــينَ﴾[٢]،

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٠.

(٢) سورة ص: ٨٢-٨٣.

ففعل فعلته التي فعل من أمام وخلف ومن يمين وشمال حتى أضل منَّا جبلًّا كثيرا: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾[١].

فالواجب على العبد المؤمن أن لا يعصي ربه تعالى طرفة عين، ولو عصى بما استذله الشيطان أو أمرته نفسه الأمارة بالسوء بالعصيان، فإنه لا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من مغفرة مهما عصى وازداد في الإثم، ويبادر إلى التوبة والاستغفار وتجهيزها للموت والاستعداد له.

أخي المسلم: إن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم السليم، تقديم العمل الصالح، وهو ما كان خالصا لله تعالى، ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن الخلود في النار ويدخله الجنة، لكن العمل يزيد نور الإيمان، وبه يتنور قلب المؤمن، فنور قلبك ووجهك بالطاعة والعمل الصالح.

قال موسى –عليه السلام– يا رب أي عبادك أعجز؟ قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل، قال: وأي عبادك أبخل؟ قال: الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه و لم يطعمه.

فإن الله عز وجل أمر عباده بالتوبة والاستغفار وسمَّى ووصف نفسه بالغفار والغفور وغافر الذنب. وأثنى على المستغفرين ووعدهم بجزيل الثواب، ويرضى عن المستغفر الصادق؛ فالاستغفار هو الدواء الناجع والعلاج الناجح من الذنوب والخطايا .. قال

(١) سورة الروم: ٤١.

تعالى: ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[1]. إذاً أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه أبي هريرة -رضي الله عنه: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**». وقال في موضع آخر: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**».

وإن كثير من الناس يعتقدون أن الاستغفار يكون باللسان يقول أحدهم: "استغفر الله"، ثم لا يوجد لهذه الكلمات أثر في القلب كما لا يُشاهد لها تأثير على الجوارح ومثل هذا الاستغفار في الحقيقة فعل الكذَّابين قال الفضيل بن عياض -رضي الله عنه: "استغفار بلا إقلاع عن الذنب توبة الكذَّابين".

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين وكَثُر الأنين، وبكى علينا الحبيب ويئس منا الطبيب .. اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب، وودعنا الأحباب، وفارقنا النعيم. اللهم يا حي يا رحمن يا رحيم برحمتك نستعين، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

(1) سورة الروم: ٤١.

الاستغفار في اللغة والاصطلاح

لغة: الاستغفار مصدر قولهم: استغفر يستغفر وهو مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على الستر في الغالب الأعم فالغفر الستر، والغفر والغفران بمعنى واحد يقال: غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا، قال الشاعر في الغفر:

في ظل من عنت الوجوه له ملك الملوك ومالك الغفر

وقال ابن منظور: وإنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة.

غفر الله ذنوبه أي سترها واستغفر الله من ذنبه ولذنبه بمعنى، فغفر له ذنبه مغفرة وغفرا وغفرانا.

وفي الحديث: غفَّار غفر الله لها: قال ابن الأثير: يحتمل أن يكون دعاء لها بالمغفرة أو إخبار أن الله تعالى قد غفر لها، واستغفر الله ذنبه على حذف الحرف، طلب منه غفره.

أنشد سيبويه:

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه القول

وتغافرا: دعا كل واحد منهما لصاحبه بالمغفرة. وامرأة غفور، بغير هاءٍ[1]. وقال الراغب الأصفهاني: الغفر: إلباس ما يصونه عند الدنس ومنه قيل: أغفر ثوبك في الدعاء واصبغ ثوبك فإنه اغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال، وقيل: اغفروا الأمر

([1]) لسان العرب (٥/٢٥-٢٦).

بغفرته، أي استروه بما يجب أن يستر به[1].

وقال الإمام الغزالي – رحمه الله – الغفار: هو الذي يظهر الجميل ويستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها الله بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر هو الستر.

الغفور والغفار وغافر الذنب من أسماء الله تعالى الحسنى التي تُضَم إلى التسعة والتسعين أسما.



([1]) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٣٦٢).

أما الاستغفار في الاصطلاح الشرعي:

تنوعت عبارات العلماء في تعريف الاستغفار، وتعددت كلماتهم فيه، وكلها تهدف إلى الكشف عن حقيقة وبيان معناه الشرعي فالاستغفار من طلب الغفران، والغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، الغفر الستر، ومنها قال الطبري –رحمه الله– "الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه غفران ذنوبه"[١] لكن يرد على هذا التعريف أنه لم يبين الأدعية التي يطلب بها الغفران، فتعريفه هذا تعريف مطلق، فأي استغفار دعا به المستغفر سواءً كان مأثوراً عن الله ورسوله ﷺ أو غير مأثور عنهما فإن هذا التعريف يشمله.

وقال أهل الكلام: "الاستغفار طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها".

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "الاستغفار هو طلب المغفرة، وهو من جنس الدعاء، والسؤال، وهو مقرون بالتوبة في الغالب، ومأمور به، لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو، وقد يدعو ولا يتوب"[٢].

والاستغفار في القرآن الكريم على وجهين: أحدهما نفس الاستغفار، ومنه في سورة هو: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**﴾[٣]. وفي سورة

---

(١) تفسير الطبري ٦٨/٢٦.
(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية: ٢/ ١٨٠-١٨١.
(٣) سورة هود: ٩٠.

يوسف: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾[١]. وفي سورة نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾[٢].

والثاني: الصلاة ومنه سورة آل عمران: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[٣]. وفي سورة الأنفال: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤]، وفي سورة الذاريات: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٥]، وقد ذهب إلى أن الآية التي في سورة هود والتي في سورة نوح بمعنى التوحيد[٦].

تعبير الاستغفار في الرؤية[٧]

استغفار الإنسان في المنام يدل على سعة الرزق، ومن استغفر من غير صلاة يدل ذلك على الزيادة في العمر، وربما دل الاستغفار على النصر ودفع البلايا، ومن رأى أنه يستغفر الله فإن الله يغفر له ويرزقه مالا وولدا وخادما وجنانا وأنهارا. فإذا رأى أنه سكت عن الاستغفار فإنه منافق ومن رأى كأنه يستغفر الله تعالى رُزق مالا حلالا وولدا. فإن رأى كأنه فرغ من الصلاة ثم استغفر الله تعالى ووجهه إلى القبلة فإنه يستجاب وعاؤه، وإن كان إلى غير القبلة يذنب ذنبا ويتوب عنه.. والله أعلم.

---

(١) سورة يوسف: ٢٩.
(٢) سورة نوح: ١٠.
(٣) سورة آل عمران: ١٧.
(٤) سورة الأنفال: ٣٣.
(٥) سورة الداريات: ١٨.
(٦) سورة ق، والقرآن المجيد، ص٨٤٥، مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة، جدة.
(٧) تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبد الغني النابلسي، ص٢٨-٢٩، دار المعرفة بيروت.

الاستغفار في البيان الإلهي[١]

أمر الله –عز وجل– عباده بالاستغفار وحثهم عليه ووعدهم على ذلك بالمغفرة والثواب العظيم، والعطاء الجزيل، ومن أصدق من الله قيلا نذكر منها ما يلي:

* قال تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[٢].

الشـــرح:

الله غافر ذنوب المستغفرين، وقابل توبة التائبين، الـذي يـرحم المنيبين، وهو شديد العقاب على من تجاوز حدوده واستهان بـأمره وأصر على ذنبه، وهو صاحب التفضل على العباد وصاحب الإنعـام على الخليقة، لا معبود بحق سواه ولا إله غيره، ولا شريك له، إليـه يعود الخلق لإحقاق الحق ومجازاة كل بما يستحق.

* وقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[٣].

---

(١) الشروح مقتبسة من كتاب التفسير الميسر للشيخ عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض.

(٢) سورة غافر: ٣.

(٣) سورة غافر: ٥٥.

الشـــرح:

أيها الرسول أصبر على تكذيب الكفار وأذى الفجار، فـــإن الله وعدك بالنصر والتمكين والرفعة، وهو –سبحانه- لا يخلف ما وعد، بل يُنجزه لك وقد حصل هذا، وعليك بالاستغفار مـــن الـــذنوب، فبالاستغفار تنال رضى الواحد القهار وتنجو من الأخطار، ونزِّه ربك ومجِّده بالتسبيح الذي تنفي فيه النقص عن الله المقرون بالحمد الـــذي هو إثبات الكمال له سبحانه في كل مساء وكل صباح.

* وقال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْـــتَغْفِرْ لِـــذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾(١).

الشرح:

فاعلم –أيها الرسول- أنه لا يستحق العبـــادة إلا الله، وأنـــه لا شريك له، واستغفر لذنبك وللمـــؤمنين والمؤمنـــات، والله يعلـــم حركتكم بالنهار في الأعمال، واستقراركم بالليـــل للراحـــة مـــن الأشغال، وفي الآية الجمع بين التوحيد والاستغفار والعلم والعمل.

* وقال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٢).

---

(١) سورة محمد: ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٣.

الشرح:

بادروا –أيها المؤمنون– وعجلوا– أيها المتقون– ما يوجب لكم مغفرة ربكم وما تستحقون به دخول جنة مولاكم إلى جنة عرضها عرض السموات والأرض، والفوز برضوانه ونيل النعيم الذي أعده لأوليائه، وذلك بفعل الطاعات وترك المحرمات، فإن من عمل صالحا وأكل حلالا وقال خيرا، وأمر بالمعروف وهى عن المنكر وسابق في الخيرات استحق أن يتجاوز الله –عز وجل– عن سيئاته، وأن يُعظم حسناته، ويرفع درجاته في جناته.

* وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

الشرح:

ومن صفات هؤلاء المتقين أنهم إذا ارتكبوا كبيرة أو اقترفوا جريرة وظلموا أنفسهم باعتدائهم على غيرهم، عادوا إلى ربهم سبحانه فتذكروا عقابه وما أعد لمن عصاه فاستغفروا الله من الخطيئة، وسألوه المغفرة، وندموا على ما فعلوا، وتأسفوا عمَّا اقترفوا، وعلموا أنه لا يغفر الذنب، ولا يتجاوز عن الخطأ، ولا يعفو عن السيئة إلا الله الواحد الأحد، و لم يداوموا على هذه المعاصي، ولا يَلجوا في الخطأ،

---

(1) سورة آل عمران: ١٣٥.

ولا يستمروا على الذنب، ولا ينهمكوا في الإجرام، بل أصبح عندهم من القلق والاضطراب والأسف والندم على ما فعلوا ما يوجب معرفتهم بقبح الذنب، ويعلمهم أنه يجب عليهم التوبة، ويعلمهم أن الله يغفر الذنوب جميعا، فيحملهم ذلك على التوبة والاستغفار والمبادرة إلى طلب العفو من العزيز الغفار.

* وقال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾(١).

الشرح:

وعليك أن تستغفر ربك إن كنت هممت أن تُدافع عن خائن أو تجادل عن منافق، فإن الله –سبحانه وتعالى– يتجاوز عن خطئك، ويغفر لك ويرحمك، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، وفيه أن من وقع منه مثل هذه النية، فعليه أن يستغفر ربه ويتوب إليه جل في علاه.

* وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾(٢).

الشرح:

ولكن المسلم إذا وقع منه السوء وظلم نفسه بارتكاب معصية،

(١) سورة النساء: ١٠٦.

(٢) سورة النساء: ١١٠.

ثم ندم واستغفر وأناب وتأسف على ما فعل وعاد إلى ربه بطلبه الغفران منه يجد ربه كريما، فإن الله أكرم من العبد، رحيم يتجاوز عنه ويقابل الإساءة بالإحسان، والمعصية بالغفران، ويتغمده بالرضوان، ويسكنه الجنان، فلا أحسن من التوبة إلى الله، ولا من استغفاره جل في علاه. والآيات في الاستغفار كثيرة ومعروفة فقط أوردنا بعض الآيات مع الشرح.

الاستغفار في البيان النبوي

ومن الأحاديث الواردة في الاستغفار حيث كان الرسول ﷺ يستغفر ربه ويتوب إليه ويتضرع بين يديه امتثالا لأمر الغفار –عز وجل– في قوله: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[١].

* فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[٢].

* وروي في سنن أبي داود والترمذي عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفرت ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف**»[٣].

---

(١) سورة النصر: ٣.

(٢) رواه البخاري.

(٣) قال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

* وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**»[١].

* وقال النبي ﷺ لعائشة –رضي الله عنها–: «**إن كنت أَلممت فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه**»[٢].

* وعن النبي ﷺ أنه قال: «**خيار أمتي الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا. وشرار أمتي الذي ولدوا في النعيم فلُذُّوا به، إنما همتهم ألوان الطعام والثياب ويتشدَّقون في الكلام**»[٣].

* وعن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– قال: كان في لساني ذَرَبٌ[٤].

* وقوله ﷺ: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد حتى يعلو قلبه ذاك الران الذي ذكره الله عز وجل في القرآن: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٥] [٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية: ١٢٠/٦.

(٤) الذرب: الحاد. واللسان الذرب: الشتَّام الفاحش الذي لا يبالي ما قال.

(٥) سورة المطففين: ١٤.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٩٧/٢، واللفظ له، وابن ماجه في السنن.

* وفي حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه– أن أبا بكر –رضي الله عنه– قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صـــلاتي، قال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الـــذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنـــت الغفـــور الرحيم**»[1].

* بالاستغفار يُودع الميت: لذا فقد كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت. وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل**»[2].

* وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رســـول الله ﷺ: «**إن الله –عز وجل– ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك**»[3].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) رواه الإمام أحمد.

تعزَّ بأهل البلاء

تَلفَّتْ يُمنة ويُسرى، فهل ترى إلا مُبتلى؟ وهل تشاهد إلا منكوبا في كل دار نائحة، وعلى كل خدٍّ دمعٌ وفي كل واد بنو سعد.

كم من المصائب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب، بل مصابك أنت بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، يئن من الألم، ويصيح من السقم.

كم من محبوس مرَّت به سنوات ما رأى الشمس بعينه، وما عرف غير زنزانته؟ كم من رجل وامرأة فقدا فَلَذَات أكبادهما في ميعة الشباب وريعان العمر؟ وكم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب.

آن لك أن تتعظ بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجن للمؤمن ودار للأحزان والنكبات، تُصبح القصور حافلة بأهلها وتمسي خاوية على عروشها، بينيها الشمل مجتمع والأبدان في عافية، والأموال وافرة، والأولاد كثر، ثم ما هي إلا أيام فإذا الفقر والموت والفراق والأمراض. قال تعالى: ﴿**وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ**﴾[1].

فعليك أن توطِّن مصابك بمن حولك، وبمن سبقك في مسيرة الدهر، ليظهر لك أنك معافى بالنسبة لهؤلاء، وأنه لم يأتك إلا وخزاتٌ

---

(1) سورة إبراهيم: ٤٥.

سهلة، فاحمد الله على لطفه، واشكره على ما أبقى، واحتسب ما أخذ واتعظ بمن حولك ولك في الرسول ﷺ قدوة وقد وُضع السَّلى على رأسه، وأُدميت قدماه وشُجَّ وجهه، وحُوصر في الشِّعْب حتى أكل ورق الشجر، وطرد من مكة، وكسرت ثنيته، ورُمي عرض زوجته الشريفة، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه، توفي أكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع واتُّهم بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كاذب، صانه الله من ذلك، وهذا بلاء لابد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل زكريا، وذُبح يحيى، وهُجر موسى. ووضع الخليل في النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضُرِّج عمر بدمه واغتيل عثمان، وطُعن عليٌّ وجُلدت ظهور الأئمة وسُجن الأخيار ونُكِّل الأبرار قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا**﴾[1] [2].

واجب المؤمن نحو الشدائد الخمس[3]

إذا كان هذا حال هذه الشدائد الخمس في حياة المسلم، فإنه يجب عليه أمور تجاه هذه الشدائد، وذلك حتى يسلم منها، وينجو من أذاها، أو تفادى أذاها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وعند النظر والتأمل، فإن المؤمن لابد من أمور تُحصِّنه من هذه الشدائد الخمس،

([1]) سورة البقرة: ٢١٤.

([2]) هكذا هزموا اليأس، سلوى العضيدان، ص١٩٦، ط١- ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م – الناشر نفسها.

([3]) فقه الابتلاء، محمد أبو صعيليك، ص١٠، دار البيارق، عمان- الأردن.

ليسلم منها، وهذه الأمور المطلوبة منه، نذكره بها هنا كما يلي:

أولا: اللجوء إلى الله تعالى:

ذلك أن من لجأ إلى الله تعالى واستجار بحماه أجاره وحماه، وأبعد عنه كل ما يخيفه، ذلك لأن هذه الشدائد المذكورة لا يسلم منها إلا الله ولا يُنجي منها سواه، أليس هو الذي يندب عباده إلى الفرار إليه ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾[1]. أليس هو الذي تعهد بكشف الضُّرِّ والسوء ﴿**وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[2].

أليس هو الذي يصرف عن عباده كل ما يخيفهم في الدنيا والآخرة؟ إن واجبهم أن يلجأوا إليه سبحانه في كل لحظة وحين، لأن المدافع عن الدين والحافظ له، والذي خلَّص الدعاة إلى الله تعالى من الفتن هو الله، ومن يستجير بحماه يُجار، ومن يرفع ظلامته إليه يُنصف، ومن يوكل أمره إليه يَسلم، ومن أولى باللجوء إليه من الله؟ ومن أعرف بطريق الله من المؤمن؟ ومن أحرى منه باللجوء إلى ربه سبحانه وتعالى؟ ليخلصه من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ويؤمن روعته في يوم يراع فيه الناس إلى من رحم الله.

ثانيا: الصبر:

لابد لمن بلي بهذه الشدائد الخمس من صبر يتزود به، ويعينه على لأواء الطريق — وخاصة لأن بعض هذه الشدائد قد تأتيه ممن لا يحل له قتله كالمؤمن الذي يحسده، والمنافق الذي يبغضه، وهذا يحوجه إلى

(1) سورة الذاريات: ٥٠.

(2) سورة المائدة: ٦٢.

مزيد صبر حتى يضيع على هؤلاء فرصتهم في أذاه، ويعمل على الخلاص من الأذى الذي مظنة له، وهذا يشمل كل مسلم بشكل عام، والدعاة بشكل خاص؛ لأن هؤلاء أولى الناس بالصبر والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وذلك حتى تتم دعوتهم لله.

وتخلص أعمالهم له، وفي نصيحة هؤلاء الدعاة يقول الأستاذ فتحي يكن- حفظه الله: "أما دعاة الإسلام فإن عليهم إن ابتلوا بمن يحسدهم أن يتذرَّعوا بالصبر والصلاة، ويعوذوا بالله من شرور نفوس الناس، وشرور ظلمهم وحسدهم، ولا يخرجنهم الغضب إلى الرد والكيد وإلى اتباع غير سبيل المؤمنين؛ لأنهم بذلك يصبحون مثلهم، ويخسرون تميزهم وخُلقهم ودينهم، والأولى أن ينفقوا مما عندهم من خير ويحتسبوا ما يصيبهم عند الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء".

ثالثا: الحذر:

لابد لمن أحاطت به تلك الشدائد الخمس والتي هي ملمات تكسر الظهر وتؤذي النفس، وتعطل العمل من أن يكون حذرا، فيحذر من المؤمن الحاسد أن يؤذيه بحسده، ومن المنافق المبغض أن يؤدي به بغضبه إلى آذه بالكيد والمؤامرات التي يحكيها له في الليل والنهار، ومن الكافر الذي يقاتله بكل وسيلة وفي كل زمان ومكان، ومن الشيطان الذي أخذ عهدا على نفسه أن يعمل على إضلاله ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ومن النفس، تلميذة الشيطان الذي لا تكاد تترك التفلُّت والمنازعة لإطاعة أوامر الشيطان وعصيان أوامر الرحمن.

إن من يحيط به هؤلاء الخمسة لهو أحوج الناس إلى الحذر والحيطة، ليسلم من سهام هؤلاء التي لا تكاد تخطؤه، ولئن كان المسلم الملتزم بحاجة إلى الحذر، فإن أولئك الدعاة أشد الناس حاجة إلى الحذر.

رابعا: العفو:

لابد للمؤمن المبتلى من العفو عمن ظلمه، وخاصة في مواجهة المؤمن الحاسد له، والذي هو أحد الشدائد الخمس المسلطة عليه، والعفو خصلة من كرام خصال المؤمنين، وقد وصف الله تعالى المؤمنين فقال: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1].

وندبنا إليه فقال: ﴿**وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]. والعفو أداة مهمة في يد الداعية إلى الله تعالى يستجلب بها القلوب، ويدخل بها إلى النفوس، ويرد بها سهام الحاسدين عن نفسه، وهو أحرى الناس بالعفو عن غيره؛ لأن الناس يأملون منه أكثر مما يؤملون من غيره، ويتوسمون فيه الخير، وإن من الأمور الخيِّرة التي تتوسم فيه عفوه عمن ظلمه وصفحه عنه، وما أحوج الدعاة إلى الله تعالى في هذه الأيام إلى مثل هذه المسألة وتطبيقها عمليا ليسلم لهم قيادة أنفسهم، وبالتالي يسلم الناس إليهم قيادة أمورهم، بما يروا في حياتهم من جوانب القدوة المشرقة التي تجلب الاتباع وتسر المؤمنين، وترد كيد الكافرين، فهذا أمر واجب

(1) سورة آل عمران: ١٤٢.
(2) سورة التغابن: ١٤.

ينبغي لمن تصدر لدلالة الناس على الله تعالى أن يتمثل بهذا ويعمل به لتُثمر دعوته وتؤتي أكلها في حياة الناس والله المستعان.

خامسا: تربية النفس:

لابد للمؤمن الذي تحيط به هذه الشدائد الخمس من تربية نفسه تربية صحيحة، وذلك حتى يفوت على هؤلاء الأعداء الخمسة أي فرصة لإيقاع الأذى به، وعند النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نجد أن التربية الصحيحة للنفس لابد أن تسير وفق مسائل ثلاثة، وهذه الأمور هي:

- المحاسبة: حيث يعمل المرء على محاسبة نفسه على كل صغير وكبير.

- المراقبة: وهي أن يراقب المرء نفسه ليمنعها من شهواتها، ومن معصية الله سبحانه وتعالى.

- والمجاهدة: وهي أن يحمل المرء نفسه على الطاعة حملا، ولا يترك لها مجالا لمنازعته نحو المعصية، فإذا تمت له هذه الأمور الثلاثة تسلم نفسه له قيادتها، ويعينه الله عز وجل عليها فإذا استقام حاله، واستوت نفسه، وقل فيه حظ الشيطان. فإنه عندئذ يسلم من تلك الشدائد الخمس.

وينجو من تلك الآفات، وذلك بسبب قربه من ربه سبحانه وتعالى، الذي يمنع عنه كل أذى، ويُبعد عنه كل سوء، ويُسلمه من كل شر، فإذا كان حاله كذلك سلمه الله تعالى من شر المؤمن الحاسد، فأخفاه، ومن شر المنافق الذي يبغضه ويكيد له المكائد،

ويخلصه من أذاها له والذي يعينه على شر نفسه ومنازعتها له إلى المعصية، كما يعينه على الخلاص من إضلال الشيطان له. وإبعاده عن طريق الله تعالى، فإذا تربَّت النفس تَحقَّق لها الحماية من كل هذه الشرور والشدائد الخمسة، التي أعجزت بني آدم ولا سلامة منها إلا بالاستعانة بالله تعالى، والله المستعان.

فوائد الشدائد(١):

الشدائد التي تصيب المسلم في حياته بشتى الصور، لابد لها من فوائد فبالرغم من أنها مكروهة للنفس، إلا أن الله يكفر بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، كما أن الكرب يدفع بالمكروب إلى التوبة، فيلجأ إلى الله وينكسر بين يديه، وهذا الانكسار أحب إلى الله من كثير من العبادات، فما أجمل أن ينكسر المخلوق لله، ويشعر بذلة أمامه، ويشعر بحاجته إليه وافتقاره إلى خالقه، فينقطع إلى الخالق ويترك المخلوق، وهنا يتحقق التوحيد وينتفي من أدران الشرك بأنواعها، ويخلص الإنسان لربه. وقد علمنا رسول الله ﷺ أدعية إذا نزل بنا الكرب، واشتدت الأمور، وضاقت علينا الأرض بما رحبت فقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**». وكان ﷺ إذا حزبه أمر قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» وقال عليه الصلاة والسلام لأسماء بنت

(١) هكذا هزموا اليأس، سلوى الضيدان، ص ٢٣٨، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

عُميس: «**ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئا**». وقال عليه الصلاة والسلام: «**من أصابه هــمٌّ أو غــمٌّ أو سَقمٌ أو شدةٌ فقال: الله ربي لا شريك له، كشف ذلك عنه**» وعن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوة المكروب: اللهم رحمتــك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**». وقال ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا يدعو بها رجــل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**».

مظاهر الابتلاء

أولا: الابتلاء بالشر:

وله عدة صور منها ما يلي:

١- أن يبتلي الله المؤمن بفقد عزيز عليه كأبيه أو أمه أو ولده.

٢- أن يبتلى المؤمن بفقد جزء من جسمه كذهاب بصــره، أو سمعه، أو رجله، أو يده.

٣- ابتلاء المؤمن بمرض عُضال أو فتــاك، أو يُبتلــى بــالخوف والجوع وضيق الرزق. قال تعالى: إشارة إلى تعدد مظاهر الابــتلاء: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِــنَ الْــأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[1].

٤- ومن أعظم ما يبتلى به المؤمن من صور الابتلاء بالشر هــي

---

[1] سورة البقرة: ١٥٥.

المصيبة في الدين، فهي القاصمة والمهلكة والنهاية التي لا ربح معهـا، وعموما فإن مصاب الدين لا فداء له، فهو أعظم من مصيبة النفس والمال؛ لأن المال يخلفه الله تعالى، وهو فداء الأنفس، والنفس فداء الدين، والدين لا فداء له[1] ذلك أن كل مصيبة في دنيا الإنسان قد تعوض بخير منها أو مثلها، أما مصيبة الدين فحسرة لا تُعوَّض[2].

٥- الابتلاء بالسيئات أو المعاصي، وهذه قد تَخفى حكمته على الكثيرين إذ قد يراد به "اختبار الصدق في الإيمان"[3].

ويشير ابن القيم -رحمه الله- إلى ثمرة هذا الابتلاء بقوله: "لو لم تكن التوبة أحب إلى الله لما ابتلى بالذنب أكرم المخلوقات عليه -آدم عليه السلام- فالتوبة هي غاية كل كمال آدمي وقد كان كمال أبينا آدم -عليه السلام- بها"[4].

ثانيا: الابتلاء بالخير:

ويقصد به اختبار الله تعالى عبده المسار ليشكره وله صور شتى منها:

١- أن يبتلى العبد بالغنى وكثرة العرض: قال ﷺ: «**فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتَنافِسوها كما تنافسوها**

---

(1) انظر تسلية أهل المصائب لأبي عبد الله المنجي، ص١٩.
(2) الإيمان والحياة للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، ص١٩٦.
(3) موسوعة نضرة النعيم، ص١٢.
(4) مفتاح دار السعادة لابن قيم، ج١، ص٢٨٦.

وتُلهيكم كما ألهتهم»[١].

٢- ابتلاؤه بزينة الدنيا وزهرتها. قال ﷺ: « **إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»[٢].

٣- الابتلاء بحب الرياسة والجاه، فيطلبها ويحرص عليها فيكون فيها هلاكه. لقوله ﷺ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة**»[٣].

٤- ويدخل في هذا المظهر ابتلاء العبد بالطاعات ليشكر ربه على ما هداه إليه، فضرب الله لنا أروع الأمثلة: بإبراهيم -عليه السلام- لما ابتلاه الله بذبح ولده وفلذة كبده فأراد أن يمضي تلك الطاعة لربه فناداه الله تعالى بقوله: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾[٤].

والابتلاء بالخير هو أشد البلاء؛ لأن القيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر. فصارت المنحة أعظم البلاءين لهذا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر". وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "من وُسِّع عليه في دنياه فلم يعلم أنه قد مُكر به فهو مخدوع في عقله"[٥].

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) سورة الصافات: ١٠٤-١٠٦.
(٥) بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، ج٢، ص٢٧٥.

أخي القارئ: فالبلاء يكون حسنا ويكون سيئا كما أسلفنا وأصله المحنة، والله عز وجل يبلو عبده بالصنيع الجميل ليمتحن شكره، ويبلو بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره، عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتهم بهن، أعوذ بالله أن تدركوهن**».

١– لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشي بهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

٢– و لم يقتصوا المكيال والميزان، إلا ابتلوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

٣– و لم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

٤– و لم ينقضوا عهد الله ورسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيدهم.

٥– وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله عز و جل إلا جعل الله بأسهم بينهم »[1].

وبين الله –عز وجل– سبب الابتلاءات، كرغد العيش، أو ضيقه، واعتدال المناخ أو قسوته، كالزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير والقحط، وما أشبه ذلك في قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**

[1] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ص٩١١، حديث رقم: ٤٠١٩.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١].

أي ظهرت المعاصي في البر والبحر. فحبس الله عن الناس الغيث وأغلى سعرهم ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون[٢].

قيل: "إن الله يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارا لهم ومجازاة على صنيعهم، لعلهم يرجعون عن المعاصي".

سؤال[٣]، لم شدد البلاء على الأفاضل؟

الجواب: قيل لأن الله تعالى يبغض الدنيا، وامتحن الأولياء فيها كي لا يميلوا إليها وهي مبغوضة وأيضا ليكثر الأجر لهم.

فإن قيل: لم حجب عنهم الدنيا؟

قيل: ليتفرغوا لطاعته ولا يشتغلوا بها عنه فتحملهم على المعصية، فربما تكون النعمة سببا للمعصية، لقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**[٤].

---

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١٤، ص١٤١.

(٣) كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار، شهاب الدين الأقفهسي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ص٦٠، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. دار ابن حزم، بيروت.

(٤) سورة الأنعام: ٤٤.

الابتلاء سنة من سنن الله في حياة الناس

رغم أن البلاء والابتلاء سنة ربانية في حياة البشر قال تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[١]، إلا أنه ليس للمسلم أن يسأل الله الابتلاء أو يتمناه فقد علمنا رسول الله ﷺ ألا نفعل ذلك فقال: «**لا تتمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون به، ولكن قولوا اللهم أكفناهم، وأكفف بأسهم**»[٢].

لذا جعل الله عز وجل الابتلاء والمحن سنة في حياة الناس، قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[٣].

وفي التعقيب على هذه الآية يقول الأستاذ سيد قطب –رحمه الله تعالى– "هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه" ويقول أيضا: "أنها سنة العقائد والدعوات، لابد من بلاء ولابد من أذى في الأموال والأنفس، ولابد من صبر ومقاومة واعتزام، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حُفت الجنة بالمكاره، بينما حُفت النار بالشهوات"[٤].

وفي تفسير هذه الآية: أظن العباد أنهم إذا قالوا: آمنا تركوا على

---

(١) سورة الملك: ٢.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة العنكبوت: ٢-٣.

(٤) في ظلال القرآن: ٢/١٨٠.

هذه الدعوة لم يختبروا ويبتلوا؟ بلى سوف يختبرون بـالبلاء ليظهـر الصادق من الكاذب، ولقد امتحن الله الأقوام السـابقين بإرسـال الرسل إليهم، فظهر علم الله في صدق الصادق في إيمانـه، وكـذب الكاذب في دعواه[1].

نزول البلايا بين المؤمن وغيره

نزول البلايا والمصائب لا يُختص به أحد دون أحد، فقد تنـزل بالبر والفاجر، والمسلم والكافر.

ولكن فرق بين نزولها على البر المؤمن، وبين نزولها على الفـاجر أو الكافر، فالمؤمن البارُّ يستقبلها برضا وسرور، فترتفع بها درجاته في الدنيا والآخرة.

وكلما زيد في بلاء المؤمن فصبر واحتسب ورضي –أعانه الله– ولطف به وأنزل عليه من السكينة والرضا، واليقين، والقـوة مـا لا يخطر ببال.

أما الفاجر والكافر، فيستقبلها بهلع، وجزع، فتزداد مصـائبه، وتكون من عاجل العقوبة له. قال عمر بن العزيز –رضي الله عنه–: "أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر، إن تكن السراء فعندي الشكر، وإن تكن الضراء فعندي الصبر"[2].

---

(1) التفسير الميسر، الشيخ عائض القرني، ص٥٦٥.

(2) خواطر، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٥٨/ ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، دار ابن خزيمة، الرياض.

أخي القارئ: ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، جف القلم بما أنت لاق ولا حيلة لك في القضاء. فالبلاء يقرب بينك وبين الله ويعلمك الدعاء، ويذهب عنك الكبر والعجب والفخر.

وأعلم إنك لست الوحيد في البلاء، فما سلم من الهمِّ أحد وما نجا من الشدة بشر. وتقين أن الدنيا دار مِحن وبلاء ومُنغصات وكدر فاقبلها على حالها واستعن بالله.

ولا تجزع من المصائب، ولا تكترث بالكوارث، ففي الحديث: «**إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»[1].

قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»[2].

الخشية والخوف من الله من أسباب مغفرة الذنوب[3]

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك، عن ربيعي بن حراش، قال: قال عقبة بن عمر لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعته يقول: «**إن رجلا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئا غير أني**

(1) مقالات الشيخ عائض القرني من كتابه لا تحزن.
(2) مجالس الصالحين، د. عائض القرني.
(3) سورة الأنعام: ٤٤.

كنت أبايع الناس في الدنيا، وأجازيهم فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة» قال: وسمعته يقول: «**إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة، أوصى أهله – إذا أنا مت، فأجمعوا لي حطبا كثيرا وأوقدوا فيها نارا، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فامتحشت فخذوها فاطحنوها، ثم انتظروا يوما راحا: فاذروه في اليوم ففعلوا، فجمعه الله، فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له**». قال عقبة بن عمرو: أنا سمعته يقول ذاك وكان نباشا.

والشرح المختصر للحديث القدسي المذكور: قوله: وخلصت إلى عظمي، أي وصلت إليه «فامتُحشت» بالبناء للفاعل، أو بالبناء للمفعول أي احترقت.

وقوله: «يوما راحا»: هو بفتح الراء ممدود، وبحاء مهملة منونة، أي كثير الريح. وقوله: «فاذروه» بهمزة وصل، وبذال معجمة، أي طيروه في الريح حتى لا يجتمع.

وقوله: «ففعلوا» أي فعلوا ما أوصاهم به أبوهم. «فجمعه الله»: أي جمع ذراته وأحياه وقال له: «لم فعلت ذلك»؟ أي لم أوصيت بإحراقك وذروك في الريح؟ «قال: من خشيتك» أي فعلت ذلك وأوصيت به يا رب من خشيتك، وخوفا منك، فغفر الله له: «وكان نبَّاشا» أي كان هذا الرجل، مع أنه لم يفعل خيرا نباشا للقبور ويسرق أكفان الموتى وظاهره أن ذلك من قول عقبة، لكن أورد ابن حبان من طريق ربعي عن حذيفة قال: توفي رجل كان نباشا، فقال

لولده: "أحرقوني" فهنا سؤال: هل الخوف أفضل أم الرجاء[١]؟

فالجواب: قال بعضهم: سواء لا يفضل أحدهما على الآخر.

ويقال: ما دام الرجل صحيحا فالخوف أفضل، وما دام مريضا فالرجاء أفضل.

ويقال: الخوف للعاصي أفضل، والرجاء للمطيع أفضل.

ويقال: الخوف قبل الذنب أفضل، والرجاء بعد الذنب أفضل
ويقال: الرجاء أفضل لأشياء أربعة:

أحدها: الرجاء إلى فضله، والخوف من عديه، والفضل أكرم من العدل.

والثاني: الرجاء إلى الوعد، والوعد من بحر الرحمة، والخوف من الوعيد والوعيد من بحر الغضب، ورحمته سبقت غضبه.

والثالث: الرجاء من الطاعة، والخوف من المعصية، ومن الطاعة ما يعلو على المعاصي، كالتوحيد.

والرابع: الرجاء بالرحمة، والخوف من الذنوب، والذنوب ذو نهاية، والرحمة لا نهاية لها.

ويقال الخوف أفضل منه، لأنه وعد بالخوف جنتين، و لم يعد بالرجاء إلا جنة واحدة.

وأيضا الخوف يمنع من الذنوب، وترك الذنوب أفضل من فعل

---

(١) سورة الأنعام: ٤٤.

الخيرات.

ويقال: من عَبدَ الله بالخوف فهو مؤمن، ومن عبد الله بالرضـــا فهو مرجئ ومن عبد الله بالحب فهو زنديق، ومن عبد الله بالثلاثة فهو مستقيم.



لو بلغت ذنوبك عنان السماء...؟[١]

عن أنس –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٢].

عنان السماء: قيل هو السحاب، وقيل هو ما عن لك منها، أي ظهر:

وقارب الأرض: وهو ما يقارب ملأها. هذا من الأحاديث القدسية.

وفيه: فضل الدعاء والرجاء. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «**الدعاء مخ العبادة**» والرجاء يتضمن حسن الظن بالله، والله تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي**».

وفيه: الحث على الاستغفار. قال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وأسواقكم، ومجالسكم،

---

(١) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، ص١٠٧٢.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة.

وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم، فالذنوب، وأما دواؤكم، فالاستغفار.

وقال إبليس -لعنه الله-: أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

فما أسعد حال من دوام لا إله إلا الله واستغفر الله. فغاية الكمال لرب العزة والجلال إفراده بالوحدانية وغاية كمال العبد التبرؤ من الحول والقوة، والتطهر من الذنوب والسيئات.

قال بعض العارفين:

استغفر الله مما يعلم الله ... إن الشقي لمن لا يرحم الله

ما أحلم الله عمن لا يراقبه ... كل مسيء ولكن يحلم الله

فاستغفر الله مما كان من زلل ... طوبى لمن كفَّ عما يكره

طوبى لمن حُسنت منه ... طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

قال ابن القيم -رحمه الله- في معنى قوله: "يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة": يُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه مالا ينبغي لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لمن يشرك بالله البتة ربه بقراب الأرض خطايا، أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإنه التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه

يتضمن من محبة الله وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه، وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع قوي، ومعنى قراب الأرض ملؤها أو ما يقارب ذلك، ولكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن غفر بفضله ورحمته، وإن شاء عذب بعدله وحكمته، وهو المحمود على كل حال[1].

تأثر الحجر الأسود بالذنوب

أخي القارئ: ألا ترى أن الحجر الأسود مع صلابته وقساوته قد تأثر بذنوب بني آدم وخطاياهم، وكان عند نزوله من الجنة أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم، كما ورد ذلك في الحديث المروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن؛ فسودته خطايا بني آدم**»[2].

أي صارت ذنوب بني آدم الذين يمسحون الحجر سببا لسواده، والأظهر حمل الحديث على حقيقته إذ لا مانع نقلا ولا عقلا، وقال بعض الشراح، والمعنى: أن الحجر الأسود لما فيه من الشرف والكرامة وما فيه من اليمن والبركة شارك جواهر الجنة فكأنه نزل منها، وأن خطايا بني آدم تكاد تؤثر في الجماد فتجعل المبيض منه أسودا فكيف بقلوبهم. أو لأنه من حيث أنه مكفر للخطايا محّاءٌ للذنوب كأنه من

---

(1) موسوعة روائع الدعاء والأذكار، أحمد بن سالم بادويلان، ص١٠٧، دار طويق للنشر والتوزيع.

(2) رواه أحمد والترمذي.

الجنة، ومن كثرة تحمله أوزار بني آدم صار كأنه ذو بياض شديد فسودته الخطايا.

ومما يؤيد هذا أنه كان فيه نُقَط بيض ثم لا زال السواد يتراكم عليها حتى عمَّها، وفي الحديث: «**إذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا أذنب نكتت فيه نكتة أخرى وهكذا حتى يسود قلبه جميعه ويصير ممن قال فيهم: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[1]»، والحاصل أن الحجر بمنزلة المرآة البيضاء في غاية الصفاء ويتغير بملاقاة مالا يناسبه من الأشياء حتى يسود لها جميع الأجزاء، وفي الجملة الصحبة لها تأثير بإجماع العقلاء.

قال الحافظ ابن حجر: واعترض بعض الملحدين على هذا الحديث فقال: كيف سودته خطايا المشركين و لم تبيضه طاعات أهل التوحيد؟

وأجيب بما قال ابن قتيبة: لو شاء الله لكان ذلك، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض. وقال المحب الطبري: في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة: فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد، ويروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة، فإن ثبت فهذا هو الجواب.

وقوله ﷺ: «**إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع فاستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى**

(1) سورة المطففين: ١٤.

تعلو قلبه فذلك الرَّان الذي ذكره الله».

أخي في الله: إذا كان هذا حال الحجر الصلد الصلب مع حجارته وقساوته يتأثر من خطايا بني آدم فكيف بمضغة لحم لا يتأثر من الأوساخ الشركية والبدعية وبخطايا بني آدم ولا يُران عليه؟ ثم كيف لا يحتاج إلى اغتساله وذهاب أوساخه بالاستغفار والتوبة إلى الله؟ وفقنا الله لذلك آمين.



الأدعية والاستغفار على ألسنة أنبياء الله ورسوله عليهم السلام

١- على لسان نوح -عليه السلام-: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١].

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره رآهم -أي نوح- عليه السلام- أهل حرص على الدنيا فأمرهم بالاستغفار وكأنه قال لهم: هلموا إلى طاعة الله فإن في طاعة الله درك للدنيا والآخرة[٢].

ويقول ابن كثير -رحمه الله: كأنه قال لهم: أي إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين: أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها[٣].

وجاء رجل إلى الحسن البصري يشكو إليه الجدوبة فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، فقال له: استغفر الله، وقال آخر: ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله فلما قبل له في هذا قال: ما قلت شيئا من

---

(١) سورة نوح: ١٠-١٢.
(٢) القرطبي: ٢٨٩/١٨ في تفسيره.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٨-١٨٣.

عندي- آية الله تعالى يقول: -: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[١].

وهكذا تحقق أن الاستغفار علاج فعال، ودواء سريع لإزالة الكروب، وإذهاب كل ضيق، بيد أنه استغفار يجب أن يقرب بالصدق وإلا فتوبة الكذاب واستغفاره لا تُفرج كربا، ولا تُزيح هما ولا ترفع بلاء. قال الفضيل بن عياض —رحمه الله-: "استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين".

٢- وعلى لسان آدم وحواء —عليهما السلام-: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٢]. وهي الكلمات التي قال الله تعالى عنها: ﴿**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٣].

٣- وعلى لسان سيدنا يونس —عليه السلام- إذا دعا في بطن الحوت فقال: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[٤].

٤- وعلى لسان شعيب —عليه السلام-: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[٥].

---

(١) سورة نوح: ١٠-١٢.
(٢) سورة الأعراف: ٢٣.
(٣) سورة البقرة: ٣٧.
(٤) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٥) سورة هود: ٩٠.

٥- وعلى لسان سيدنا صالح -عليه السلام-: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾(١).

٦- وعلى لسان سيدنا موسى - عليه السلام: ﴿**إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي**﴾(٢).

٧- وعلى لسان سيدنا هود - عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾(٣).

٨- وعلى لسان سيدنا وقدوتنا محمد ﷺ ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾(٤).

٩- وقالت بلقيس: ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٥).

١٠- وفي الصحيحين أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.. فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**»(٦).

(١) سورة هود: ٦١.
(٢) سورة القصص: ١٦.
(٣) سورة هود: ٥٢.
(٤) سورة فصلت: ٦.
(٥) سورة النمل: ٤٤.
(٦) رواه البخاري ومسلم.

أخي القارئ .. أختي القارئة[١]: ومما يستغفر ويُتاب منه مـــا في النفس من الأمور التي لو قالها أو فعلها عُذب. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَـــنْ يَشَـــاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾[٢].

فهو يغفر لمن يرجع عما في نفسه، فلم يتكلم بـــه، و لم يعمـــل، كالذي همَّ بالسيئة و لم يعملها، وإن تركها لله كتبت له حسنته. وهذا مما يُستغفر منه ويتوب، فإن الاستغفار والتوبة من كل ما كان ســـببا للذم والعقاب. وإن كان لم يحصل العقاب، ولا الذم فإنه يفضي إليه، فيتوب من ذلك: أي يرجع عنه، حتى لا يفضي إلى شر، فيستغفر الله منه، أي يطلب منه أن يغفر له وقد يظن ظنون السوء باطلـــة، وإن لم يتكلم بها، فإذا تبين له فيها، استغفر الله وتاب. وظلمه لنفسه يكـــون بترك واجب، كما يكون بفعل محرم فقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[٣].

أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب، فقد ربـــط الله عـــز وجل من خلال الآيات على ألسنة الأنبياء والرسل المـــذكورة بـــين الاستغفار وهذه الأرزاق، وهذه القاعدة الـــتي يقررهـــا القـــرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسباها من وعد الله، ومن سنة الحياة. كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون،

---

(١) الاستغفار أهميته وحاجة العبد إليه، ابن تيمية، ص٣٥-٣٦، دار القاسم، الرياض: ١٤٢٠هـ.
(٢) سورة البقرة: ٢٨٤.
(٣) سورة النساء: ١١٠.

والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد.

إذًا وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهها تحقيقا له بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ من خشية الله، ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته: فحققت العدل والأمن للناس جميعا، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء.

التوحيد والاستغفار[1]

يقرن كثيرا في القرآن بين التوحيد والاستغفار؛ لأن فيهما نفي النقص عن الخالق، والاعتذار من نقص المخلوق، فقوله: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾فيه الاعتراف والإقرار بوحدانية الله عز وجل وتنزيهه عن النقائص والعيوب، ثم الاعتراف بظلم العبد نفسه بالخطايا والذنوب والاستغفار طلب وإنما يحصل الطلب بين يدي الثناء والمدح، وأعظم مطلوب هو الله عز وجل، وأعظم ما يمدح به التوحيد الخالص، وذكر وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فحسن تقديم هذا الثناء العظيم.

وقد ورد في الحديث: «**أفضل الدعاء: لا إله إلا الله**» أخرجه مالك في الموطأ فسئل بعضهم: كيف جعلها دعاء، وهي إثبات وتقرير؟ فقال: إن من أثنى عليك فقد تعرض لك بالسؤال كما قال أمية بن أبي الصلت:

---

(1) حدائق ذات بهجة، د. عائض القرني، ص٢٥٩، ط٣.

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وقال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾[1]. فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وقدم التوحيد الذي هو أصل الأصول، وأمر بالاستغفار الذي هو سبب لحصول المحبوب، ودفع الموهوب، فمن عرف سر هاتين الكلمتين، لا إله إلا الله واستغفر الله أحبهما وأكثر منهما، وتعلق بهما، وأدمن من تكرارهما، وتعلم أسرارهما، وتفقه في معانيهما، وقضى وقته بين اعتراف بالجميل وإقرار بالمعروف لصاحبه تبارك وتعالى، وثناء عليه، وإيمانا بوحدانيته، بين تبرؤ من الحلول والقوة والاعتراف بظلم النفس وقلة البضاعة، ورداءة المحصول، واتهام النية، والانكسار عن تذكر الخطيئة، ومقت الذات غاية المقت، ولوم النفس غاية اللوم على ما فرطت في جنب الله وأكثرت من مخالفة أوامر الله، وعندما يحصل عفو الله ومغفرته ورضوانه، فما هطلت سحائب الرضوان إلا برضا الرحمن، والانكسار بين يديه، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه.

وذكر ابن أبي الدنيا زين بن أسلم قال: قال عثمان بن عفان –رضي الله عنه–: قال رسول الله ﷺ: «**إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة**»، وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "أحضروا موتاكم ولقنوهم: لا إله إلا الله وذكروهم، فإنهم يرون مالا ترون"[2].

---

(1) سورة محمد: ١٩.

(2) أخرجه عبدالرزاق: ٦٠٤٣ وابن أبي شيبة في مصنفة: ١٢٥/٣.

قال العلماء: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون. وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة وليدخل في عموم قوله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1].

وروي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حضر ملك الموت رجلا قال: فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص**»[2] [3].

أخي القارئ .. أختي القارئة[4]: يستحب قول «لا إله إلا الله» لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء أو في الصلاة أو شبههما، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس: أي تأخر وبَعد ولا إله إلا الله رأس الذكر، ولذلك اختار صفوة هذه الأمة لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمروهم بالمداومة عليها، وقالوا: أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والإكثار منه في كل وقت وفي كل حال، كما أخبرنا ﷺ بذلك إن الوسواس إنما يبتلى به من كَمُل إيمانه، فإن اللص لا يقصد بيتا خربا.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث معاذ ابن جبل –رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) حياة البرزخ، طلال مكي الخيمي، ط١، ص٧٦، ١٤٢٩هـ.

(٤) إبليس خطيب جهنم، أحمد بادويلان، ص١٢٤، ط١- ١٤٢٨هـ.

الاستغفار بالقلب واللسان

سئل الإمام ابن تيمية –رحمه الله: هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ؟ أو أنه إذا استغفر ينوي بالقلب أن لا يعود إلى الذنب؟ وهل إذا تاب من الذنب وعزم بالقلب أن لا يعود إليه، وأقام مدة ثم وقع فيه أفيكون ذلك الذنب القديم يضاف إلى الثاني؟ أو يكون مغفورا بالتوبة المتقدمة؟ وهل التائب من شرب الخمر يشربه في الآخرة؟ ويلبس الحرير في الآخرة؟

فأجاب –رحمه الله:

الحمد لله .. بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في الحديث الآخر: «**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**»، فإذا أصر على الصغيرة صارت كبيرة، وإذا تاب منها غفرت. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وإذا تاب توبة صحيحة غُفرت ذنوبه، فإن عاد إلى الذنب فعليه أن يتوب أيضا، وإذا تاب قبل الله توبته أيضا.

وقد تنازع العلماء في التائب من الكفر، إذا ارتد بعد إسلامه، ثم تاب بعد الردة وأسلم. هل يعود عمله الأول؟ على قولين مبناهما أن الردة هل تحبط العمل مطلقا، أو تحبطه بشرط الموت عليها.

---

(1) سورة آل عمران: ١٣٥.

١- فمذهب أبي حنيفة ومالك أنها تحبطه مطلقا.

٢- ومذهب الشافعي أنها تحبطه بشرط الموت عليها.

والردة ضد التوبة، وليس من السيئات ما يمحو جميع الحسنات إلا الردة، وقد قال تعالى: ﴿**تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾[١].

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "توبة نصوحا": أن يتوب ثم لا يعود، فهذه التوبة الواجبة التامة. ومن تاب من شرب الخمر، ولبس الحرير، فإنه يلبس ذلك في الآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح: «**من شرب الخمر ثم لم يتب منها حرمها**».

وقد ذهب بعض الناس كبعض أصحاب أحمد: إلى أنه لا يشربها مطلقا، وقد أخطأوا والصواب الذي عليه جمهور المسلمين[٢].

صيغ الاستغفار

- "رب اغفر لي وتب علي".
- "أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه".
- "استغفر الله سبحان الله وبحمده".
- "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما

(١) سورة التحريم: ٨.
(٢) الاستغفار أهميته، ابن تيمية، ص٤٥، ط١، دار القاسم: ١٤٢٠هـ.

أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، إلهي لا إله إلا أنت".

- "اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلانيته".

- اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".

- "أستغفر الله وأتوب إليه" (مائة مرة في اليوم)[1] [2]. صحابي الحديث هو الأغر بن يسار المزني -رضي الله عنه- قوله: "استغفر الله وأتوب إليه" ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة.

وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو المعصوم، وهل الاستغفار يستدعي وقوع معصية؟ وأجيب بعدة أجوبة، منها قول ابن بطال رحمه الله: الأنبياء أشد اجتهادا في العبادة، لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، أي: أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع، وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكره ومنها أن استغفاره تشريع لأمته، والله أعلم.

قال العلماء: الاستغفار المطلوب، هو الذي يحل عقد الإصرار

---

(1) رواه البخاري ومسلم..

(2) هذا الحديث ما تفرد به كل واحد منهما عن الآخر، فحديث البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- ويلفظ "والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه، في اليوم أكثر من سبعين مرة". والله أعلم.

ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان.

ختم المجالس بكفارة المجلس

لما كان الإنسان ضعيفا، وكان الشيطان حريصا على إضـــلاله، والسعي دوما إلى إغوائه، والنيل منه عن طريق اقترافه للسيئات فكان منه أن تربص للمسلمين في مجالسهم، وأنديتهم محرضا لهم على قول الزور والباطل. ولما كان الله رؤوفا بعباده شرع لهم على لسان نبيهم كلمات يقولونها، تكفر عنهم ما علق بهم من أدران ذلك المجلس، ثم امتن عليهم ربهم بأن جعل هذه الكلمات طابعا لمجلس الخير فالحمد لله أولا وآخرا. وهذه الكلمات جاءت في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال ﷺ: «**من جلس في مجلس كَثُر فيه لَغطه. فقال قبل أن يقوم: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك، ثم أتوب إليك إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**»[1]. وعنــد الترمــذي «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**».

ومن حديث عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلسا أو صلى تكلم بكلمات فسألته عائشة –رضي الله عنها– عن الكلمات فقال: «**إن تكلم بخير كان طابعا علـــيهن إلى يـــوم القيامة، وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة لـــه، ســـبحانك اللـــهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك.**»[2].

---

(1) رواه أحمد.

(2) رواه النسائي وأحمد.

أخي القارئ: فإذا كنت مع إخوانــك أو في أي اجتمــاع أو مجلس يجب أن لا تغفل عن هذا الدعاء. فمعلوم أن البلاء والعذاب لا ينزلان إلا بسبب الذنوب، وإن الرحمة والسكينة تنزل بذكر الله وطاعته واتباع رضوانه فالمعاصي والسيئات والذنوب هي مُوجبات العذاب والبلاء في النفس والمال والجسد.

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنه لم يكن يجلس مجلســا كان عنده أحد أو لم يكن إلا قال: "اللهم اغفر لي ما قدمت ومــا أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقــني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك وارزقني من اليقين ما تهون به عليّ مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلــهما الــوارث مني، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي، اللهم لا تسلط عليّ من لا يرحمني" فسئل عنهن ابن عمر –رضي الله عنهما– فقال: كــان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه[1].

ومنه دعاء أبي مالك الأشجعي –رضي الله عنه– عن أبيه أنــه يعلم من أسلم أن يقول: "اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني وارحمني"[2].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما**

---

(1) صحيح الحاكم ٥٢٨/١ في المستدرك وصححه الذهبي ووافقه.
(2) صحيح مسلم (٢٦٩٧) في الذكر والدعاء.

من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»[1].

إذاّ أخي المسلم: كيف يكون ثوابك على ذكر الله ودعائـك عند قيامك من المجلس، كل ذلك لتكون على صلة بالله ومراقبا لـه وليكون الله حاضرا معك لا يغيب عن ذهنك، تراه في كل شـيء تقع عليه عينك وفي كل كلمة تسمعها أذنك. ويكون شعارك "الله" أولا وأخيرا وهو معك أينما كنت وعلى أي موضع تكون وفي أي مكان: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾، إن ذلك هو السلوك الحسـن والمنهج السليم الذي رسمه لك الهادي الأمين، فكن يا أخـي ممـن طلبتهم العناية وجذبتهم للحضرة العلية، فعاشوا في الدنيا سـعداء لقربهم من الله وفي الآخرة من الفائزين برضوان الله ومحبته.

والآن ترى ماذا كان وضع أصحاب القلوب الكبيرة والنفوس العلية والأجسام الطاهرة عند دعوتهم لرب الأرباب وتضرعهم إليه؟ ماذا كانت النتيجة؟

سيد الاستغفار

عن شداد بن أوس –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ يقول: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فأغفر لي إنـه لا**

(1) موسوعة الدعاء، حامد أحمد الطاهر، ص٢٨٧، ط١، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦م. مكة المكرمة.

يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها بالنهار موقنا بها فمات قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها. فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[١].

قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[٢].

قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها، استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور.

قوله: «**وأنا على عهدك ووعدك**» قال الخطابي: يريد أنا على ما عاهدتك عليه، وواعدتك من الإيمان وإخلاص الطاعة لك ما استطعت انتهى.. يريد بذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[٣].

قال الحافظ: وفي قوله: «**ما استطعت**» إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال طاعة الله، والشكر على النعم، فرفق الله بعباده و لم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم.

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) رواه أبي داود.
(٣) سورة الأعراف: ١٧٢.

قال ابن أبي جمرة: جمع النبي ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني، وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمى به سيد الاستغفار.

ففيه: الإقرار لله وحده بالألوهية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعد به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله[1].

* * *

---

(1) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك.

فضائل الاستغفار

١- أنه طاعة لله عز وجل.

٢- أنه سبب لمغفرة الذنوب.

٣- أنه سبب لنزول الأمطار.

٤- الإمداد بالأموال والبنين.

٥- سبب لدخول الجنات.

٦- سبب لزيادة القوة بكل معانيها.

٧- سبب للمتاع الحسن.

٨- أنه سبب لدفع البلاء.

٩- سبب لإيتاء كل ذي فضل فضله.

١٠- الاستغفار سبب لنزول الرحمة.

١١- وهو تأس بالنبي ﷺ؛ لأنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية: مائة مرة.

يقول ابن كثير -رحمه الله- عن فضيلة الاستغفار وقت الأسحار: وثبت في الصحيحين عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فأغفر له**».

ثمار الاستغفار

أولا: غفران جميع الذنوب، ويشتمل ذلك ذنوب العبد التي لم يحصها أو نسيها. وقد أحصاها الله مهما صغرت أو مضت عليه السنون، وقد حكى الله عن أناس غفلوا عن أعمالهم ففاجأهم يوم القيامة قال الله عنهم: ﴿**وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾[1].

ثانيا: الدخول على الله من باب الخضوع والخشية والإخبات، وهذا يورث التواضع باطنا وظاهرا.

ثالثا: الاقتداء بالرسول ﷺ، وظاهر ما في الاقتداء به من البركة وحصول الخيرات.

رابعا: الاعتراف بالتقصير في الطاعات والخوف من الذنوب هو مطية الإقبال على التزود من النوافل وعمل الصالحات والاستكثار من الحسنات.

خامسا: المحافظة على سلامة القلب وصفاته من آثار الذنوب، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب: صقل قلبه**»[2]. وقد قال ﷺ: «**كل بني آدم**

---

(١) سورة الزمر: ٤٧.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

خطاء، وخير الخطائين التوابون»[١].

فوائد الاستغفار

وللاستغفار –أخي القارئ– فوائد كثيرة منها ما يلي[٢].

١- أنه جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن الاستغفار قرين الصبر والصدق والقنوت وحسن الإنفاق أنه لذلك سبب من أسباب مدح المؤمنين المخلصين. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾[٣].

٢- أنه حصن حصين ومكين ضد النقم والبلايا والنكبات والكوارث والمحن قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[٤].

٣- إن الاستغفار مفتاح الرزق ومجلبة للخصب وسبب لتدفق بركة الأرض والسماء، وإعانة على القوة وزيادتها، قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ**

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) المنتقى من الفوائد الإيمانية –مصطفى حقي، ص٧٤، ط١ -١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار طويق –الرياض.

(٣) سورة آل عمران: ١٦-١٧.

(٤) سورة الأنفال: ٣٣.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١].

٤- إن الاستغفار سبب لتفريج الكروب ولـذهاب الهموم والأحزان ومخرج من كل ضيق، وفي الحديث: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**» وهذه الفائدة مستفادة من القرآن الكريم؛ لأن الاستغفار دليل على التقوى، وفي التقوى جاء قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾**[٢].

٥- ومن الفوائد المهمة للاستغفار أنه يورث طهارة القلب وزكاة النفس، ونقاء الضمير.

فما أحرانا اليوم، وذنوبنا تُناطح الجبال، وتكاثر زبد البحر أن ندرك هذه الحقيقة، وأن نبادر إلى الاستغفار في كل حال. وأعلى درجات الغفران هي العفو، لذا نجد في القرآن إن العفو سبق المغفرة والرحمة في قوله تعالى:**﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٣].

من جوامع الاستغفار

- «**استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، وأسأله التوبة والمغفرة**».

---

(١) سورة نوح: ١٠-١٣.
(٢) سورة الطلاق: ٢-٣.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

- « اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمك أرجى عنـــدي من عملي، إنك تغفر الذنوب لمن تشاء، وأنت الغفور الرحيم يا غفار اغفر لي، يا تواب تب عليَّ يا رحمن ارحمني، يا عفو أعفـــو عني، يا رؤوف أرأف بي».

- «اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي».

- «اللهم إني أستغفرك من كل ذنب أذنبته، وتعمدتـــه، أو جهلته».

- «اللهم إني استغفرك لكل ذنب يعقبه الحسرة، ويـــورث الندامة، ويحبس الرزق ويرد الدعاء».

- «اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت منـــه ثم عـــدت إليه».

- «وأستغفرك من النعم التي أنعمت بها علي، واستعنت بها علي معاصيك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يطلع عليها أحـــد سواك، ولا ينجيني منها أحد غيرك، ولا يســـعها إلا حلمـــك، وكرمك، ولا ينجيني منها إلا عفوك».

- «اللهم إني أستغفرك، وأتوب إليك، من كل ذنب أذنبته، ولكل معصية ارتكبتها، فاغفر لي يا أرحم الراحمين».

- «اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يدعو إلى غضبك، أو يدني إلى سخطك، أو يميل بي إلى نهيتني عنه، أو يبعدني عما دعـــوتني

إليه».

- «اللهم إني أستغفرك لكل ذنب يمحق الحسنات، ويضاعف السيئات، ويحل النقمات، ويغضبك يا رب الأرض والسموات».

- «اللهم إني أستغفرك من كل ذنب يدعو إلى الكفر، ويورث الفقر، ويجلب العسر، ويصد عن الخير، ويهتك الستر».

- «يا من إذا عظمت على عبده الذنوب وكثرت العيوب، فقطرة من سحائب كرمك لا تبقي له ذنبا، ونظرة من رضاك لا تترك له عيبا، أسألك يا مولاي أن تتوب عليَّ وتغفر لي».. آمين[1].

وقت الاستغفار

الاستغفار نوعان:

١- استغفارُ ذكرٍ: ويكون على صيغة ورد يومي كالاستغفار سبعين مرة في اليوم.

٢- واستغفار توبة: وله شروطه، وهو الاستغفار بسبب ذنب اقترفه الإنسان، فيلجأ إلى خالقه ليغسل له هذا الذنب ويتوب عليه، ومعلوم لدينا أن باب طلب المغفرة من الغفور الكريم سبحانه مفتوح لعبده في كل وقت، بيد أن أفضل وقت للاستغفار والتوبة من الذنب هو أقرب وقت بعد وقوع الذنب، وعلى الإنسان ألا يَغره طول الأمل، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ**

---

(1) موسوعة روائع الدعاء والأذكار، أحمد بادويلان، ص١٠٠.

السُّوءَ بجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

ومن أفضل الأوقات للاستغفار الثلث الأخير من الليل قال رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجب له، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر**».

ومن كمال الاستغفار اتباع السيئة الحسنة، عن أبي الدرداء – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيث ما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها**»[2].

الاستغفار هنا من ذنوب التي تكون بين العبد وربه، أما الذنوب المتعلقة بالعباد فلابد من استبراء العباد منها.

قيل للأوزاعي وهو أحد رواة الحديث: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: "استغفر الله"[3].

«**رب إني ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي، وإن لم تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم**

---

(1) سورة النساء: ١٧-١٨.

(2) رواه الترمذي.

(3) سورة النساء: ١٧-١٨.

وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[١].

مفاتيح المغفرة

للمغفرة مفاتيح نذكر منها ما يلي:

* أولا: آمين خلف الإمام:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال رسول الله ﷺ: «**إذا أمنَّ الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة: غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢].

* ثانيا: اللهم لك الحمد بعد الرفع من الركوع:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: الله ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة: غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٣].

* ثالثا: الدعاء الوارد بعد الفراغ من الطعام:

عن أنس –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٤].

---

(١) ذكر الله، وائل يوسف محمد الدسيماني، ص٨٩، ط١ – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، دار القاسم –الرياض.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الترمذي وابن ماجه.

* رابعا: التسبيح دبر الصلوات:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: « **من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد ثلاثا وثلاثين، وكبر ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعونه، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[1].

* خامسا: سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه: وإن كانت مثل زبد البحر**»[2].

* سادسا: عند الوضوء:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة كانت مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب**»[3].

---

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البخاري ومسلم.
(3) رواه مسلم.

* سابعا: عند سماع المؤذن:

عن سد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد ﷺ رسولا وبالإسلام دينا غفر له ذنبه**»[1].

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم، وقد بدلت سيئاتكم حسنات**»[2].

الاستغفار والذكر دبر كل صلاة

يُسن ذكر الله والاستغفار عقب الصلاة المكتوبة كما ورد في الأخبار فيقول استغفر الله ثلاث مرات ويقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام[3].

كما ورد عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**».

ومما ورد من الذكر: ما روى عن عبد الله بن الزبير أنه كان

(1) رواه مسلم.
(2) رواه أحمد.
(3) رواه الجماعة إلا البخاري.

يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون: قال: وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة[١].

وكان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد[٢].

ويسبح ثلاثا وثلاثين، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويكبر ثلاثا وثلاثين، كما في الصحيحين من رواية أبي صالح السمان عن أبي هريرة –رضي الله عنه– مرفوعا تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتمام المائة –لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويعقده بيد وبيد الاستغفار أي يضبط عدده بأصابعه.

وعن معاذ بن جبل –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٣].

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت**»، رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيه الطبراني «**وقل هو الله أحد**» وعنه قال ما دونت من رسول الله ﷺ في دبر مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول: اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم انعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي صالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت.

أخي المصلي .. أخي المستغفر: الانتهاء من الصلاة والجلوس في المصلى والتسبيح وقراءة آية الكرسي واستغفار الملائكة للمصلي، يا له من فضل عظيم، ونعم متتالية، فضل من الله ونعمة يتمتع بها المصلي.

ينطلق المسلم من صلاته منشرح الصدر شاكرا لعظيم نعمه، مستبشرا بفضله، طامعا في رحمته وجنته.

فإذا كنت ذا لُبٍّ –وأنا على يقين بذلك- غيِّر نفسك وسلوكك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، والله سيعصمك ويُغير أحوالك، فكما تتغير الصحراء القاحلة إلى روضة غناء وكل ذلك بقدرته سبحانه- فهو قادر على أن يغير أحوالك إذا صدقت معه، وسيقبل توبتك، فمن صفاته سبحانه أنه تواب رحيم، وأنه غفور رحيم.

لقد نادى الله النصارى ودعاهم إلى التوبة وقد أدعّو الولد له – تعالى عما يشركون- فقال جل في علاه: ﴿**أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ**

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١].

أعلم أخي المستغفر والتائب إلى الله[٢]

إن الناس في فعل الطاعات والسيئات على أصناف ثلاثة:

١- فمنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي وهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين.

٢- ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويقدم على ارتكاب المعاصي، وهذا أخبث أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدين.

٣- ومنهم من لا يستجيب إلى فعل الطاعات، ولا يكف عن ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عذاب الله -جلا وعلا.

أخي المستغفر: فاختر لنفسك الصنف الأول؛ لأن هذا أكمل أحوال أهل الدين وصفات المتقين. وصدق الله العظيم: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾**[٣].

ولا تقنط من رحمة الله ولا تيأس -ولا ييأس من روح الله إلا

---

(١) سورة المائدة: ٧٤.

(٢) جبال الذنوب وسيل الغفران/ الشيخ أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار، ص٥٢، ط١ ١٤٢٠هـ، الناشر نفسه، مكة المكرمة.

(٣) سورة فاطر: ٣٢.

الكافرون، وإن كانت لديك جبال الذنوب وكنت بالذنوب غارقا فادع الله أن ينجيك منها بسيل غفرانه .. قال تعالى: ﴿**لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾[1].

فالتوبة والاستغفار انفع ما تكون حال نزول البلاء فإنها من أسباب نزول الرحمة، ولذلك ذكر الله جل وعلا عن نبيه يونس – عليه السلام– توبته لما اشتد به البلاء وهو في بطن الحوت قال تعالى: ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[2]. فالاستغفار –أخي المستغفر: يقلب المحنة إلى منحة، والرزية إلى عطية، والغمة إلى رحمة، وبه يفتح الله الأرزاق، ويدفع الكروب، ويمسح دموع الأحزان.

للاستغفار مواطن وأحوال[3]

١– يكون عند الذنب:

وهذا من آكد المواضع؛ لأنه اعتراف منك بذنبك وعلامة لي على عدم إصرارك، فأنت تسأل الله أن يمحو أثره ويغسل درنه، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[4]، وقال أيضا: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**

---

(1) سورة الزمر: ٥٣.
(2) سورة الأنبياء: ٨٧.
(3) موقع منتدى الكلمة الطيبة.
(4) سورة النساء: ١١٠.

إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(١).

ولقد فعل ذلك أطهر البشر وأفضلهم وهم رسل الله وأنبيائه كآدم وزوجه، وموسى ويونس -عليهم السلام- وهذا الاستغفار بعد الذنب يجعل القلب صقيلا فلا تعلق فيه أدران المعاصي.لذا لابد للعبد أن يسرع في التوبة من الذنب والاستغفار منه قبل أن يكتبه عليه الملك؛ لأن العبد يمهل بعد الذنب ست ساعات فإن ندم واستغفر وإلا كتب عليه صاحب الشمال تلك الخطيئة فعن النبي ﷺ أنه قال: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**»(٢).

٢- ويكون بعد الفراغ من المجلس:

الذي يشعر العبد أنه قد كثر لغطه فيه كما جاء في الحديث: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، واستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**»(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) صحيح الجامع.

٣- وكذلك بعد الطاعات:

كما ذكرنا كالصلوات والحج والوضوء كما جاء عنه ﷺ: «**من توضأ فقال بعد فراغه من وضوئه سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق، ثم جعل في طابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة**»[١].

٤- وأثناء الطاعات:

فأدعية الصلاة كثيرا ما يرد فيها الاستغفار ففي دعاء الاستفتاح وبين السجدتين وفي الركوع وفي السجود بعد الإتيان بالذكر المشروع، وحين سأل أبو بكر -رضي الله عنه- النبي ﷺ أن يعلمه دعاء يدعو به في الصلاة أمره أن يقول: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**».

٥- وكذلك في بداية النهار وآخره (الغداة والعشي):

يشرع للعبد أن يأتي بسيد الاستغفار[٢] فلا يقولها احد حين يمسي فيأتي عليه قَدَرٌ قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قَدَرٌ قبل أن يمسي إلى وجبت له الجنة»[٣].

أخي القارئ: الاستغفار يبعث النشاط والصحة في القلب، فالقلب إذا كان سليما نشيطا على الطاعة بعيدا عن الآثام

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب صفحة بعنوان سيد الاستغفار.
(٣) صحيح الجامع.

والذنوب؛ كان حيا رقيقا أبيضا نقيا تؤثر فيه أدنى موعظة، وينشط لأشق طاعة وإن كان ليس في الطاعات بحمد الله مشقة.

والله سبحانه وتعالى يرفع عن الأمة المستغفرة حيث قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

إذاً فعليكم –أيها الناس– بلزوم الاستغفار والإكثار منه في الليل والنهار في السر والجهار، وابشروا بالخير الوافر والمنزل الكريم الزاهر فلقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا**»[2].

الاستغفار حاجة دائمة للعبد[3]

قال الإمام أحمد بن تيمية –رحمه الله– الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله، والعارف بالله، في كل يوم بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علما بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى

---

(1) سورة الأنفال: ٣٣ .

(2) فضائل الأعمال/ ١١٧٥.

(3) الاستغفار/ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص٤٢، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ .

الاستغفار أناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائما في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية واليقينية الإيمانية.

وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إله إلى الله، من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عالم مقام معلوم. فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تُذهب الشرك كله، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه.

والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك. فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول: لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول: استغفر الله. فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه، ولإخوانه من المؤمنين.

الاستغفار بركات الدين والدنيا

روى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «**قال إبليس: يا رب وعزتك لا أزال أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال الله: (وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني)**».

فطوبى لمن عرف أنه له غفورا رحيما يقبل عباده إذا أقبلوا إليه نادمين، وطرقوا بابه باكين مستغفرين لأنفسهم وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم.

أخي القارئ: الاستغفار مع الإقلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء، وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة، وفي دعوة نوح –عليه السلام– قومه ونصحه لهم نسمع الله عز وجل يقول: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[1].

ففي الإيمان رحمة بالعباد وفي الاستغفار بركات الدين والدنيا، وفي الحديث: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حث لا يحتسب**».

فما أعظم بركات الاستغفار، به تستنزل الرحمات، وتبارك الأرزاق، وتكثر الخيرات، ويعطى الله الأموال والبنين ويغفر الذنوب

---

(1) سورة نوح: ١٠-١٢.

ويمنح القوة والسداد والرشاد، وفي الحديث: «**ما من رجل يـــذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عـــز وجل إلا غفر له**».

فمن ثمرات الاستغفار وبركاته أنه يكون سببا في أن يمتـــع الله المستغفرين بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصـــلهم بالعذاب كما فعل بالأمم التي عاندت وأصرت على الكفر، ولـــذا حذر الله سبحانه من الإصرار على الشـــرك بعـــد الحـــث علـــى الاستغفار.

ففي شرح آيات دعوة نوح –عليه السلام-: وأمرهم باستغفار الواحد القهار، فإنه غفار الذنوب، ستار العيوب، يقبل من تـــاب، ويرحم من أناب، والاستغفار هنا يتضمن التوحيد والتوبة.

ومع الاستغفار يُنزل الله الأمطار؛ لأن الغيث من آثار رحمتـــه سبحانه التي تتنزل على المستغفرين؛ لأن الذنوب تمنع القطر. ومـــع الاستغفار والتوبة يرزقكم الله الذرية الصالحة، والأمـــوال الكـــثيرة والرزق الواسع، وينبت لكم الحدائق الغناء، والبســـاتين الفيحـــاء، لتنعموا بفوائد الأشجار والثمار والأزهار، ويهيئ لكم العذب الغزير من الأنهار[1].

فالاستغفار من أهم وأعظم أسباب الرزق، ففي حكاية عن نبيه هود –عليه السلام– يقول تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُـــمَّ**

---

(1) التفسير الميسر، للدكتور الشيخ، عائض القرني، ص٨٣٨-٨٣٩، مكتبة العبيكان- الرياض.

تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[١].

ويا قوم: أسألوا الله أن يغفر ذنوبكم، ثم اهجروا الذنوب، واندموا على ما سلف من المعاصي، فإذا فعلتم ذلك، وصحت منكم الإنابة أنزل الله عليكم الغيث المدرار، فيكثر الخيرات، ويعم الرخاء، وتنعمون برغد في العيش، ويزدكم قوة إلى قوتكم بصحة الأجسام، وكثرة الذرية والأموال، وتتابع الأرزاق، ولا تعرضوا عن الاستجابة ولا تصروا على الذنوب، وتستكبروا عن قبول الحق، وفي الآية بركة الاستغفار والتوبة، وأنهما أصل كل خير في النفس والجسم والمال والولد[٢].

وقد تمسك أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه- بما جاء في هذه الآيات عن طلبه المطر من الرب – عز وجل- فقد روى مطرف عن الشعبي أن عمر –رضي الله عنه- خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له: "ما سمعناك استسقيت". فقال: طلبت الغيث بمجاديع[٣] السماء التي يتنزل بها القطر ثم قرأ: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾**[٤].

---

(١) سورة هود: ٥٢.
(٢) مصدر سابق، ص٣٢٨.
(٣) مجاديع: مفردها مجدع وهو نجم من نجوم السماء.
(٤) التداوي بالاستغفار، حسن همام، ص٣٦، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

وقال ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد، في جوف الليل الآخر، فإن استعطت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[1].

صحابي الحديث هو عمرو بن عبسة –رضي الله عنه– قوله: «**أقرب ما يكون الرب من العبد**» والحكمة في قرب الرب من العبد في هذا الوقت، أن هذا الوقت وقت نداء الرب، ألا ترى إلى الحديث رسول الله ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر**»، فيكون الرب في هذا الوقت قريبا من عبده، ولا ينال هذا الحظ الوافر إلا من له استعداد، وترقب لتحصيل هذه الفائدة العظيمة، التي تبني عليها المنافع الدينية والدنيوية[2].

الاستغفار يفتح الأقفال[3]

يقول ابن تيمية –رحمه الله: إن المسألة لتغلق عليّ، فاستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل، فيفتحها الله علي. وإن من أسباب راحة البال، استغفار ذي الجلال.

رب ضارة نافعة، وكل قضاء خير حتى المعصية بشرطها فقد

---

(1) أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم.

(2) شرح حصن المسلم، الشيخ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص ٣٤٠-٣٤١.

(3) لا تحزن، الشيخ الدكتور: عائض القرني، ص٢٣٣، ٢٣٤، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ورد في المسند: لا يقضي الله للعبد قضاءا إلا كان خيرا له.

قيل لابن تيمية: حتى المعصية؟ قال: نعم، إذا كان معها التوبة والندم والاستغفار والانكسار: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾[1].

قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾[3].

عجبت لعظماء عرفهم التاريخ، كانوا يستقبلون المصائب كأنها قطرات الغيث، أو هفيف النسيم، وعلى رأس الجميع سيد الخلق محمد ﷺ، وهو في الغار، يقول لصاحبه: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾، وفي طريق الهجرة، وهو مطارد مشرد يبشر سراقة بأنه يُسوَّر سواري كسرى.

بشرى من الغيب ألقت في فم الغار

وحيا وأفضت إلى الدنيا بأسرار

وفي بدر يثب في الدرع ﷺ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾[4].

أنت الشجاع إذا لقيت كتيبة

أدبت في هول الردى أبطالها

وفي غزوة أحد –بعد القتل والجراح– يقول للصحابة: «**صفوا**

---

(1) سورة النساء: ٦٤.

(2) سورة آل عمران: ١٤٠.

(3) سورة النازعات: ٤٦.

(4) سورة القمر: ٤٥.

خلفي، لأثني على ربي»، إنها همم نبوية تنطح الثريا، وعزم نبوي يهزم الجبال.

قيس بن عاصم المنقري من حلماء العرب، كان محتبيا يكلم قومه بقصة، فأتاه رجل فقال: قُتل ابنك الآن، قتله ابن فلانة. فما حلَّ حبوته، ولا أنهى قصته، حتى انتهى من كلامه، ثم قال: غسلوا ابني وكفنوه، ثم آذنوني بالصلاة عليه: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ**﴾[1].

وعكرمة بن أبي جهل يعطي الماء في سكرات الموت فيقول: أعطوه فلانا لحارث بن هشام فيتناولونه واحدا بعد واحد، حتى يموت الجميع.

إذا قُتلوا ضجت لمجد دماؤهم
وكان قديما من مناياهم القتل

قال الشاعر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها
من لا يعول في الدنيا على رجل

([1]) سورة البقرة: ١٧٧.

استغفر بصدق ولا تعجز[1]

الناس في أمر الاستغفار أصناف ثلاثة:

* **الصنف الأول:**

صنف صادق مع الله في طلب الغفران فهو يعقد العزم على الإقلاع عن الذنب بقلبه ثم يلهج ذلك بلسانه سائلا مولاه العفو والمغفرة، وكلما عاد إلى الذنب لغلبة طبعه أو غفلة أو نسيان أو ضعف في نفسه وهذا حال أكثر المستغفرين الصادقين.

* **الصنف الثاني:**

صنف كاذب في استغفاره يلهج به باللسان بينما يضمر الإصرار على المعصية في الجنان. قال الفضيل بن عياض –رحمه الله–: "استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين"، ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير".

وسئل صهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: "أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة، ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه". وقال ابن رجب: "فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ

---

(1) الاستغفار، فضله وأثره/ /ص١٣، القسم العلمي بدار خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.

﴿يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

*** الصنف الثالث:**

فهو الصنف المعرض عن الاستغفار، إما بسبب غفلة، أو بسبب يأس من حالة وخوفه من معاودة المعصية.

وهذا الصنف اليائس من رحمة الله يجهل مدى سعة مغفرة الله جل وعلا ولو فقه ذلك لما تخلف قط عن الطمع في عفوه وستره ورحمته.

قال تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٢].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم**».

ولقد يدخل الشيطان خلال ذلك فيمنعه من الاستغفار لما يعلم من أن الله تعالى يغفر للمذنبين كلما استغفروا، وفي الحديث عن أبي سعيد –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) رواه الحاكم.

أخي المستغفر .. أختي المستغفرة: الله عز وجل يرضـــى عـــن المستغفر الصادق؛ لأنه يعترف بذنبه ويستقبل ربه فكأنه يقول: يـــا رب أخطأت وأسأت وأذنبت وقصـــرت في حقـــك، وتعـــديت حقوقك، وظلمت نفسي وغلبني شيطاني، وقهرني هواي وغـــرتني نفسي الأمارة بالسوء، واعتمت علي سعة حلمك وكريم عفـــوك، وعظيم جودك وكبير رحمتك.

فالآن جئت تائبا نادما مستغفرة، فأصفح عني، وأعف عـــني، وسامحني، وأقل عثرتي، وأقل زلتي، وأمح خطيئتي، فلـــيس لي رب غيرك، ولا إله سواك.



النجاة من عذاب الله[1]

روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار**». فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفا مشفقا، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيما مرفقا. ومن كان في الدنيا من الغافلين، كان عند قراءته من النادمين.

لو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوائب، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب.
وأنشدوا:

ما بال عينك لا تبكي لما سلفا
ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه
لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
من الذنوب التي لم تبل جرهما
وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا

---

[1] بستان الواعظين ورياض السامعين، تحقيق مجدي الشهاوي، ص١٢٠، ط١، ١٩٩٤م.

أمـــا تخـــاف أمـــا تخشـــى فضـــائحها
إذا الغطـــاء انجلـــى عنـــهن وانكشـــفا

واعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تبارك وتعالى أطلع بعضـــنا على صحائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان النـــاس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



يا معشر النساء

عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النساء، تصدق وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**».

قالت امرأة منهن: مالنا أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن**».

قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: «**شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي**»[1]. وقوله: لا، أي: تنسين معروف الزوج وجميله. وفي الحديث الآخر: «**لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا يسيرا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط**».

قوله: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن**». اللب: العقل الخالص وذلك لعظم كيدهن، وقوة حيلهن. قال تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾[2].

وفي الحديث: استحباب وعظ النساء، وتعليمهن أحكام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن وحثهن على الصدقة والاستغفار.

---

(1) رواه مسلم.

(2) سورة يوسف: ٢٨.

وفيه: أن الصدقة والاستغفار من دوافع العذاب.

وفيه بذل النصيحة والإخلاص فيها لمن احتـيج في حقـه إلى ذلك، وفيه جواز طلب الصدقة للمحتاجين ولو كان الطالب غـير محتاج، واستدل به على جواز صدقة المرأة من مالها من غير توقـف على إذن زوجها أو على مقدار معين والله أعلم[١].

أما قوله ﷺ: «**وأكثرن من الاستغفار**» دليل على أن الاستغفار سبب في نجاة المرأة عما يكون قد بدر منها مـن سـوء العشـرة الزوجية أو ما ارتكبته من خلل أو خطأ في حق زوجها وفيه دلالة أيضا على أن الاستغفار سبب في النجاة من النار يوم القيامة.

فيا أختي المسلمة: عليك بالاستغفار امتثالا لأمر النبي ﷺ حتى تكوني من الفائزين في الدنيا والآخرة إن شاء الله[٢].

المواعظ في الاستغفار[٣]

أخي القارئ: الاستغفار إذا كثر من الأمة، وصدر عن قلـوب موقنة مخلصة، دفع الله عنها ضروبا من النقم والشرور العامة. فعـن مالك بن دينار أنه قال: كان الأبرار يتواصـون بـثلاث: سـجن

---

(١) سورة تطريز رياض الصالحين، فيصل آل مبارك، ص١٠٧٤، ط١ -١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) التداوي بالاستغفار،حسن بن أحمد همام.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب الرقائق، محمود بن أحمد الفاريابي. هذبه وخرج أحاديثه، محمد خير رمضان يوسف، مجلد أول، ص٣٢٤ -٣٢٥، دار ابن حزم، بيروت.

اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة عن القوم.

* وقال عالم: أربعة أشياء من العبد وأربعة من الرب: الشكر من العبد والزيادة من الرب، والطاعة من العبد، والقبول من الرب، والدعاء من العبد، والإجابة من الرب، والاستغفار من العبد، والغفران من الرب.

* وسئل عبد العزيز بن أبي رواد: ما أفضل العبادة؟ قال: طول الحزن في الليل والنهار، وكثرة الاستغفار.

* وقيل لعالم: ما علامة سعادة العبد؟ قال خروجه من ضيق الإصرار على الذنب وولوجه في سعة الاستغفار.

* وقال إبراهيم بن أدهم: كثير الخير قليل، الشر كثير، وأعلم أن الجهل مغنم، والذم مغرم، والاستغفار ملجأ.

* وقيل لمالك بن دينار: فيك سياسة وهيبة ولست بملك ولا أمير فمن أين هذا لك؟

* قال: بأكل الحلال، والأمن بالرزق، والرضا بالقضاء، والإخلاص في العمل، والصبر على الشدة، والشكر عند النعمة، والتقى عند الشبهة، والاستغفار عند الخطيئة.

* وحكي أنه رؤي بعض الصالحين في النوم، فسئل عن حاله فقال: نجوت بعد كل جهد. قيل: بأي الأعمال وجدت النجاة؟ قال: بالبكاء من خشية الله، وطول الاستغفار.

* وحكي أنه قال بعض المريدين لواعظ: اذكرني في صالح

دعائك. قال: أذكر ذنبك وتب واستغفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(1).

* وحكي عن إبراهيم بن أدهم: أنه قال: مثلت نفسي في الجنة كأني أكلت من طعامها، وعانقت حواريها، ومثلت نفسي في النار كأني أكلت من ضريعها(2) وعالجت أغلالها، فقلت لنفسي: ما تشتهين الآن؟ قالت: أرجع إلى الدنيا فأتوب واستغفر. قلت فمن مثلك إذا أعطيت سؤلك؟ فقومي الآن فتوبي واستغفري:

لا تنس ذنبك إن الله ساتره
واستغفر الله من ذنب تباشره

كم من هوى لك مقرون بمعصية
وأصبحت تركبه الله غافره

* ومن موعظة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز –رضي الله عنهما: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرف، وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء، فاحذر هذه الدنيا الخداعة الغدَّارة الختَّالة التي قد تزينت بخدعها وقتلت بغرورها، وتحلت بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، وهي لأزواجها

---

(1) سورة نوح: 10.

(2) وردت الكلمة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [سورة الغاشية:6].

كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالأول مزدجـــر، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد، فشـــغل فيها له حتى زلت به قدمه، فعظمت ندامته، وكثـــرت حســـرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه، وحسرات الفوت بغصـــته، وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه مـــن التعـــب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد.

فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذرها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، وضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان، أمانيها كاذبة وآمالها باطلـــة وصـــفوها كـــدر وعيشها نكد ابن آدم فيها على خطر.



قصص في الاستغفار

صرت أسعد امرأة

امرأة تقول: مات زوجي وأنا في الثلاثين من عمري، وعندي منه خمسة أطفال بنين وبنات، فأظلمت الدنيا عيني، وبكيت حتى خفت على بصري، وندبت حظي ويئست وطوقني الحزن والهمُّ فأبنائي صغار، وليس لنا دخل يكفينا وكنت أصرف باقتصاد من بقايا مال قليل تركه لنا أبونا، وبينما أنا في غرفتي فتحت المذياع على إذاعة القرآن الكريم وإذا بشيخ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا**»، فأكثرت بعدها الاستغفار وأمرت أبنائي بذلك وما مر بنا والله ستة أشهر حتى جاء تخطيط مشروع على أملاك لنا قديمة فعوضت فيها بملايين، وصار ابني الأول على طلاب منطقته، وحفظت القرآن كاملا. والحمد لله وصرنا محل عناية الناس ورعايتهم، وامتلأ بيتنا خيرا وصرنا في عيشة هنية، وأصلح الله لي كل أبنائي وبناتي، وذهب عني الهم والحزن والغم وصرت أسعد امرأة "استغفر الله الغفور الرحيم"، "استغفر الله وأتوب إليه"، "استغفر الله .. استغفر الله".

إني منهمك في الذنوب

قيل: جاء شيخ إلى رسول الله ﷺ وقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه وليا، ولم أوقع المعاصي جرأة، وما توهمت طرفة عين أن أُعجز

الله هربا، وإني لنادم تائب، فما ترى حالي عند الله سبحانه؟

فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾[١].

* * *

(١) سورة النساء: ١١٦.

هل وجدت لاستغفارك ثمرة؟

حدثت هذه القصة في زمن الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– كان الإمام: أحمد بن حنبل يريد أن يقضي ليلته في المسجد، ولكن منع من المبيت في المسجد بواسطة حارس المسجد، حاول مع الإمام، ولكن دون جدوى، فقال له الإمام سأنام موضع قدمي، وبالفعل نام الإمام أحمد بن حنبل مكان موضع قدميه، فقام حارس المسجد يجره لإبعاده من مكان المسجد، وكان الإمام شيخا وقورا تبدو عليه ملامح الكبر، فرآه خباز فلما رآه يجر بهذه الهيئة عرض عليه المبيت، وذهب الإمام أحمد بن حنبل مع الخباز، فأكرمه ونعمه، وذهب الخباز لتحضير عجينته لعمل الخبز، المهم الإمام أحمد بن حنبل سمع الخباز يستغفر ويستغفر، ومضى وقت طويل وهو على هذه الحال فتعجب الإمام، فلما أصبح سأل الأمام أحمد الخباز عن استغفاره في الليل، فأجابه الخباز: أنه طوال ما يحضر عجينته ويعجن فهو يستغفر، فسأله الإمام أحمد: وهل وجدت لاستغفارك ثمرة؟ والإمام أحمد سأل الخباز هذا السؤال، وهو يعمل ثمرات الاستغفار، يعلم فضل الاستغفار، يعلم فوائد الاستغفار.

فقال الخباز: نعم، والله ما دعوت دعوة إلا أجيبت، إلا دعوة واحدة.

فقال الإمام أحمد: وما هي؟

فقال الخباز: رؤية الإمام أحمد بن حنبل!!

فقال الإمام أحمد: أنا أحمد بن حنبل، والله إني جررت إليك جرا(١).

---

(١) منتديات فسيح.

أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة[1]

يعامل الله عز وجل الأمة المحمدية على درجات ثلاث: أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة، أهل العفو هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وإمامهم الصديق أبو بكر –رضي الله عنه– وأما أهل المغفرة فهم الذين كانت لهم هفوات وماتوا من غير توبة، يستلمون الكتاب بأيمانهم ويفتحونه فإذا النور، فتبيض وجوههم، فيطالعون الكتاب فيجدون بعض الهفوات، فيظنون الهلاك، فيخاطبهم الحق في سرهم: سترتها عليكم في الدنيا واليوم أغفرها لكم ولا أبالي. أما أهل الرحمة فهم الذين لهم ذنوب كثيرة فيرحمهم الله بسبب أفعال صالحة عملوا بها في الدنيا.

ففي يوم القيامة من ثقلت حسناته عن سيئاته بحسنة واحدة دخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته عن حسناته بسيئة واحدة دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته فأمره إلى الله، فيؤتى برجل ليس له إلا حسنة واحدة، فيجد رجلا آخر يبحث عن حسنة واحدة ليتم حسناته ليدخل الجنة فيعطيها له ويقول له: خذها فإني هالك هالك. فيقول الله له: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة.

وأعلى درجات الغفران هي العفو، لذا نجد في القرآن أن العفو سبق المغفرة والرحمة في قوله تعالى: ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[2].

---

(1) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود،ص٤٤، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جدة.
(2) سورة نوح: ١٠.

ومن أصدق من الله قيلا

يقول الداعية خالد السلطان: في ليلة من ليالي التشريق "أيام الحج" وبالقرب من البيت العتيق ألقيت كلمة عن الاستغفار ومعناه وفضله وأثره وكان كلامي فيه الدليل والمنطق والعقل، فلما انتهيت من كلمتي القصيرة "وهي عادتي" طلب أحد الحاضرين الحديث معي على انفراد فقبلت الحديث معه فبدأ يسرد قصته مع الاستغفار.

أبو يوسف: أنا تزوجت ولله الحمد ولكن زوجتي تأخرت بالإنجاب فقمت ببذل الأسباب، ما سمعت عن طبيب إلى زرته ثم سافرت بعد ذلك للخارج التمس العلاج والكل يؤكد بقوله: "ما منك إلا العافية أنت وزوجتك"، فرجعت إلى بلدي وكلي رجاء بالله —والله على كل شيء قدير– قلت: أسأل الله أن يرزقك الذرية الصالحة يا أبو يوسف وعليك بالدعاء خاصة أنك في أيام عظيمة وفي مكان عظيم وأنت مجاور البيت العتيق أبو يوسف: آمين لكن بعد لم أكمل قصتي.

قلت: كمل يا أبو يوسف وكلي أذن صاغية.

أبو يوسف: في يوم من الأيام وأنا أستمع لإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية سمعت من يقرآ الآية التي ذكرتها يا شيخ في كلمتك من سورة نوح ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[1]، فشرح الشيخ الآية

([1]) سورة نوح: ١٠-١٢.

وبين أن الاستغفار طريق لجلب الأطفال فعلقت الكلمات في بـــالي فلما رجعت للمنزل قلت لزوجتي ما سمعت وعزمنا على أخذ العلاج "الاستغفار" ليلا ونهارا سرا وعلانية "تدري يا شيخ ما حصل"؟

زوجتي حملت بنفس الشهر الذي استغفرنا فيه وجاء "يوســـف" والحمد لله.

قلت: ما شاء الله صدق الله وهو خير الصادقين "والله لا يخلـــف الميعاد" وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾.

أبو يوسف: يا شيخ إلى الآن لم تنته قصتي بعد.

قلت: خلاص جاك الولد "شنو بعد".

أبو يوسف: لما انتهت زوجتي من النفاس قلت لها: استغفري يا أم يوسف للثاني فاستغفرنا مثل الأول فحملت بنفس الشهر، وجاء الثاني بحمد الله ولما انتهت من نفاسها الثاني، قلت استغفري يـــا أم يوسف قالت نريد ثالث فاستغفرنا فجاء الثالث ولله الحمد، فمـــا انتهت زوجتي من نفاسها قالت يا أبو يوسف وقِّف عن الاستغفار "بنية الأولاد" شوي حتى يكبر الأولاد وبعدها نرجع نستغفر للرابع بإذن الله.

قلت: الله يبارك لك بما رزقك ويجعل ذريتك قرة عين خالصة إنك رأيت آية من آيات الله فيك وفي زوجتك وفي ذريتك.

أبو يوسف: آمين الله يستجيب دعاءك لكن يا شيخ ما خلصت بعد قصتي. قلت: ما انتهت الأحداث بعد؟ أكمل يا أبا يوسف.

أبو يوسف: بعدما كبر الأولاد قليلا قلت لأم يوسف عندنا ثلاثة أولاد ونرجو من الله أن يرزقنا "بنت حلوة" استغفري يا أم يوسف وأنت ترجين بنتا فسكت أبو يوسف. قلت: الله يرزقك البنت كما رزقك الأولاد يا أخي الكريم أبو يوسف: أبشرك يا شيخ أنا اليوم جئت الحج وزوجتي في النفاس مع بنتها الجديدة "انتهت قصة أبو يوسف".

أخي القارئ .. أختي القارئة: القصة السابقة فيها عدة أمور لابد نتعرف عليها حتى تكتمل المعاني:

١- بأن معك الاستغفار وفضله وأثره.

٢- الاستغفار يؤثر على حسب نية المستغفر أي لأي شيء تستغفر لطلب مال، ولد، نجاح، توبة، فعلى نية المستغفر يكون الأثر بإذن الله.

٣- يحتاج الاستغفار لنية صادقة ومخلصة لله، وأن تدرك معناه وأن تفهم المراد منه فالنية لها أثرها في حياتك كلها.

٤- الله لا يخلف الميعاد وإذا تخلف الأثر، فأعلم أن هناك أمرا تسبب به.

٥- الاستغفار كالدعاء إما يأتيك ما طلبت، وإما يأتيك غير طلبك، وإما يصرف عنك سواء بسبب استغفارك، أو أن يدخر الله لك ما استغفرت ليوم القيامة فيجازيك جزاء الضعف عنده جل وعلا.

"أكثروا الاستغفار واقضوا حوائجكم بالاستغفار".

فما بالنا نقلل من شأن هذه الكلمة "استغفر الله" ما بالنا لا نستغفر الرحمن ولو لدقائق معدودة عند الصباح والمساء والنوم، فوقتها قصير وأثرها جد عميق، فيا شاكي الفقر استغفر الله يرزقك ويكسبك، ويرزقك القناعة فتحس أنك غني، وأنت أفقر الناس، ويا أختي العاقر لا تيأسي من أن تستغفري الله فهو الرازق، وهو الولي في الدنيا والآخرة، وهو خير الرازقين، ويا أختي الطالبة استغفري الله إذا تأزمت المواقف وعجز العقل عن الحل.

ثلاثة لا يستجاب لهم[1]

قال الضحاك: ثلاثة لا يستجاب لهم، فذكر منهم: رجل مقيم على امرأة زنا بها كلما قضى شهوته، قال: رب اغفر لي ما أصبت من فلانة، فيقول الرب تحول عنها، وأغفر لك، فأما ما دمت مقيما عليها فإني لا أغفر لك، ورجل عنده مال قوم يرى أهله، فيقول: رب أغفر لي ما آكل من مال فلان، فيقول تعالى: رد إليهم مالهم، وأغفر لك، وأما ما لم ترد إليهم مالهم فلا أغفر لك.

وقول القائل: استغفر الله، معناه: أطلب مغفرته، فهو كقوله: الله اغفر لي، فالاستغفار التام الموجب للمغفرة: هو ما قارن عدم الإصرار، كما مدح الله أهله، ووعدهم المغفرة.

قال الإمام الحسن البصري –رحمه الله: "من لم يكن ثمرة

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ص٧٣٠.

استغفاره تصحيح توبته، فهو كاذب في استغفاره". وكان بعضهم يقول: استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير، وفي ذلك يقول أحدهم:

استغفر الله من استغفر الله
من لفظه بدرت خالفت معناها
وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد
سددت بالذنب عند الله مجراها

حاسب بعضهم نفسه

حاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه، فإن زلاته لا تجاوز ستا وثلاثين زلة، فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة، وصلي لكل زلة ألف ركعة، ختم في كل ركعة منها ختمة، قال: ومع ذلك فإني غير آمن من سطوة ربي أن يأخذني بها، وأنا على خطر من قبول التوبة[1].

المسائل يا أختي المهمة المبتلاة استغفري الله، فإن الله هو المبتلي بالأمراض ليختبر قلوب عباده، وهو الشافي منها، والقادر على فك وتفريج الكربة.

أيها الإخوة: هذه الكلمة مكونة من عشرة أحرف، ولكن أجرها عظيم عند الله، ولو تأملناها لوجدنا الدواء الذي نغفل عنه جميعا. فمن منا لا يريد السعادة والراحة لنفسه القلقة، ومن منا لا

---

(1) جامع العلوم والحكم، ص٧٣٦.

يريد دواء لكل داء، ومن منا لا يريد أنهارا تمتد لتستمر الحياة، فقولوا جميعا: "استغفر الله".

من لزم الاستغفار وقصة الزلزال[1]

في زلزال باكستان المعروف والذي بلغ ضحاياه الألوف شاءت عناية الله عز وجل أن تنقذ هذا الرجل من موت محقق.

كان في بيته عندما وقع الزلزال تناول طعامه ثم ذهب إلى مكان نومه لينال قسطا من الراحة وبينما هو مستلق على فراشه حدث الزلزال المدمر أخذت الغرفة ترج بقوة، بل البيت كله بدأ السقف يتشقق من فوقه وهو ينظر إليه، من شدة هول المفاجأة لم يستطع أن يتحرك من مكانه، بدأت أركان الحجرة تتساقط أمام عينيه فما كان منه إلا أن أخذ الاستغفار يقول: استغفر الله .. استغفر الله بصورة مستمرة، وبدأ السقف في السقوط كل هذا الأحداث مرت في وقت قصير جدا لا يتعدى بضع دقائق وأراد الله عز وجل لهذا الرجل النجاة.

يقول عن نفسه: "وبالفعل سقط السقف المتكون من طبقة خرسانية سميكة لكن ولله الحمد تناثرت أجزاؤه في كل أنحاء الغرفة إلا الموضع الذي أنا فيه" وخرجت مسرعا وحمدت الله عز وجل.

قلت: صدق رسول الله ﷺ «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب**».

---

(١) التداوي بالاستغفار، حسن بن أحمد همام، ص٦٠، دار الحضارة – الرياض.

لا يثقل مع اسم الله شيء[١]

روى ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- وقال: قال رسول الله ﷺ: «**يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**». زاد الترمذي: "فلا يثقل مع اسم الله شيء" وقال: حديث حسن غريب..

والشاهد على رواية الترمذي من قول النبي ﷺ «**أنه قال: قال موسى: يا رب علمني شيئا أذكرك به، وأدعوك به، قال: قل (لا إله إلا الله). قال: تخصني به، قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهم لا إله إلا الله**»[٢].

---

(١) شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة محمد يونس عبد الستار، ص٩٨، ط٣، ١٤٢٨هـ، مكة المكرمة.

(٢) رواه النسائي وابن حبان والحاكم.

والله يحرسك من كل سوء وعلى كل حين[1]

هذه القصة من أعجب القصص تدل على رحمة الله الواسعة على عباده مهما كانوا ظالمين على أنفسهم، ذكرها ابن قدامة. وقال: بكران بن أحمد قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذ بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت، قال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنا فأمض بنا، فجعلنا نقف أثرها.

فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره، وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية، فضربتها، فانقلبت، وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها، فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه فقال: يا فتى: انظر مم نجاك الله بهذه العقرب، جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلا والجليل يحرسه ... من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيه منه فوائد النعم

فنهض الشاب وقال: إلهي هذا حلمك بمن عصاك، فكيف

---

(1) شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة محمد يونس، ص٩٦، ط٣.

رفقك بمن يطيعك، ثم ولى، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى البادية، والله لا عدت إلى المدن أبدا وصدق الله العظيم: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[1].

* * *

---

(1) سورة الرعد: ١١.

محبة الملائكة المقربين بالمؤمنين التائبين المستغفرين

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

قال السعدي –رحمه الله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة المقربين لهم (أي للمؤمنين) ودعائهم لهم، بما فيه صلاح دينهم وأخرهم ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتضمن موافقتهم (أي الملائكة) لربهم تمام الموافقة بمحبة ما يحبه من الأعمال، التي هي العبادات التي قاموا بها.

---

(١) سورة غافر: ٧-٩.

(٢) سورة الشورى: ٥.

واجتهدوا اجتهاد المحبين، ومن العمال، الذين هم المؤمنـــون، الذي يحبهم الله تعالى من بين خلقه. فسائل الخلق المكلفين، يبغضهم الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم، دعوا الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم؛ لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبتـــه؛ لأنه لا يدعو إلى لمن يحبه(١).



(١) سورة شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة محمد يونس، ص٨٦، ط٣.

حكاية عجيبة[١]

قال الشيخ أبو طلحة: حكى له شيخ كبير مرة حكاية لزميلـــه الشاعر فقال:

كان لي زميل وصديق، وما رأيته قط في حياته يعمـــل عمـــلا صالحا أو يصلي الصلاة، وكان يعترف أمامي بهذا الكسل والغفلـــة والبعد عن الأعمال الصالحة، فلما حضره الموت أنشد بيتين فقال في البيت الأول وهو يعرق جبينه من شدة الموت ويخاطب أهله: عرق الموت قد طلع على الجبين وناصيتي فأحضروا لي المرآة يا أهل بـــيتي كي أنظر إلى صورتي في اللحظات الأخيرة من الحياة.

ثم بعد ذلك لما رأى ما رأى أمام عينيه وتذكر حوادث الحيـــاة تأوه وأنشد باللغة الأوردية فقال ما معناه والله أعلم:

ويا أسفي على حياتي، والله ما رأيت وما سجلت في صـــحيفة أعمالي شيئا من الأعمال الصالحة في حياتي هـــذه، للأســـف الآن انتهيت من النوم والغفلة وقد فتحت عين قلبي إذ تفـــارق الـــروح الجسد، فأتاه آت وذاق الموت بعد إقراره هذا كأنـــه يقـــول: الآن حينما تنفصل الروح من الجسد عرفت أن هذه الحياة كانت لغرض خاص ولأعمال خاصة، وقد كنت في غفلة من هذا وما أعـــددت للآخرة شيئا، وهذا كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[٢].

---

(١) سورة جبال الذنوب وسيل الغفران، أبو طلحة محمد يونس بن عبدالستار، ص٥٨، ط٤-١٤٢٠هـــ.

(٢) سورة ق: ٢٢.

قيل: إنها تعرض على الإنسان في الدار الآخرة ساعات أيامه ولياليه في هيئة الخزائن كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتها، فيرى الساعة التي عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نورا فيفرح بذلك فرحا شديدا والتي عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة. والتي لم يعمل فيها بطاعة الله ولا معصية يجدها فارغة لا شيء فيها.

فيعظم ندمه وحسرته إذا نظر إلى الفارغة، ويتمنى لو ملأها بذكر الله جل وعلا. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1].

محاسبة النفس[2]

بعد أن تضع رأسك على الوسادة لتنام، وتنتهي من أذكار النوم، تذكر بسرعة ما عملته من خير وشر في يومك كله، ابتداء بالشهادتين، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصدقة، وبعد ذلك بأركان الإيمان منها: الإيمان بالقدر خيره وشره، فإن كنت على خير في كل ما سبق، و لم تجد تقصيرا منك فيما ذكر، فأحمد الله على ذلك، وإن وجدت تقصيرا في صلاة أو غير ذلك فتعوذ من الشيطان، واستغفر الله، وتب إليه، وأبك لعل الله أن يقبل توبتك، واعزم على أن لا تعود لهذا الذنب والتقصير، وإذا كانت هناك أسباب معينة لهذا الذنب فعاهد ربك ألا تعيدها غدا، ونم وأنت تائب.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

(٢) مشاهدات طبيب، د. خالد بن عبد العزيز الجبير، ص٢٤-٢٥.

وبعد أن تنهي حق الله عليكن أنظر إلى حقوق العباد عليـــك، وهم الوالدان، والزوجة، والأبناء، والإخوة، والجيران، والأقـــارب، والأصدقاء، والزملاء، وغيرهم، وهل ارتكبت في حقهم ما يغضب الله أم لا؟ فإن كانت قد أخطأت في حق أحد منهم، فتب إلى المولى وعاهده على ألا ترجع إلى ما يغضبه سبحانه، وتحلل من أخيك.

أخي: قد تقول ما فائدة هذه المحاسبة السريعة للنفس؟ فأقول: الفائدة من هذه المحاسبة أنك إذا توفاك الله في ليلتك هذه مت على توبة واستغفار، وإن لم تمت فأنت من غده بين أحد أمرين:

١- إما أنك ستتذكر أنك قد عاهدت الله وحاسبت نفســـك بالتوبة فتقلع عن الذنب قبل أن تقع فيه.

٢- وإما أنك ربما تقع فيه، ثم تتوب منه مرة أخرى، فيكـــون حالك أنك تذنب بالنهار وتتوب إلى الله بالليل، فـــذنب بالنـــهار وتوبة بالليل، فإن الله سبحانه وتعالى يتوب على المسيئين، وتكـــون النتيجة —بإذن الله- الإقلاع عن الذنب حياء من المنـــان الكـــريم الرحمن الرحيم بعد أن تتوب منه أكثر من مرة، فإن توبتك وندمك عبادة من العبادات فتؤجر، وفي الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[1].

أخي القارئ: إن هذه الطريقة مجربة، وقد أقلع كثير من الإخوة عن ذنوب كثيرة بسبب سلوك هذه الطريقة، فجربها، فهي لا تأخذ

(1) رواه مسلم.

أكثر من دقيقتين، ولكن فيها خير كثير فحاسب نفسك قبل أن تحاسب. قال الحسن البصري –رحمه الله-: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها قبل أن يحاسبها الله عز وجل".

وقال مالك بن دينار –رحمه الله: "رحم الله عبدا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا وكذا"؟

الدين هم بالليل وذل بالنهار

من علماء القراءات –رجل اسمه (عاصم بن أبي إسحاق) تعرض لفاقه وفقر إلا أنه لم يسأل أحدا من البشر لعلمه أن الدين هم بالليل، أرق وذل بالنهار، صاحبه طريد الغرماء أو مع السجناء، ولعلمه أن الله تعالى سيعطيه إن عاجلا أم آجلا، فقالوا له: استقرض المال، فأبي وعرفوا في وجهه الكراهية، ثم قام فصلى ركعتين ومرغ وجهه في التراب وقال: "يا مسبب الأسباب أكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

فنظر فإذا صوت شيء يسقط بجواره، فإذا هي حدأة ألقت صرة فيها ثمانين دينارا وجوهرة حمراء فباع الجوهرة وأغناه الله تعالى بها و لم يفقره إلى أحد من عباده.

فالمضطر لابد أن يكون كالصبي يشتهي على أبويه فإن لم يجيباه بكى عليهما حتى يجيباه، فكن مثله بين يدي مولاك.

أقوال السلف في الاستغفار

- روي عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني عود لسانك "اللـــهم اغفر لي". فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا.

- قال علي –رضي الله عنه– ما ألهم الله –ســبحانه– عبــدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

- وقالت عائشة –رضي الله عنها: "طــوبى لمــن وجــد في صحيفته استغفارا كثيرا"[1].

- وقال الربيع بن خثيم: "تضرعوا إلى ربكم وادعوه في الرخاء فإن الله قال: من دعاني في الرخاء أجبته في الشدة ومــن ســألني أعطيته ومن تواضع لي رفعته، ومن تفرغ لي رحمته، ومن استغفرني غفرت له"[2].

- وقال أحد العلماء: "الاستغفار استصلاح الأمر الفاسد قولا وفعلا. يقال اغفروا هذا الأمر، أي أصلحوه بما ينبغي أن يصلح".

- وقال بعضهم: "الاستغفار طلب المغفرة من الغفار، وهو ما يغطي به الشيء".

- وقال عالم: "أربعة أشياء من العبد وأربعة من الرب: الشكر من العبد، والزيادة من الرب، والطاعة من العبد، والقبــول مــن

(١) موسوعة روائع الدعاء والأذكار، أحمد بن سالم بادويلان، ص١٠٨، ط١، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢) التداوي بالاستغفار، حسن بن أحمد همام، ص١٥، دار الحضارة –الرياض.

الرب، والدعاء من العبد، والإجابة من الرب، والاستغفار من العبد، والغفران من الرب"[١].

- وعن يونس بن عبيد عن بكر بن عبد الله قال: "إنكم تستكثرون من الذنوب فاستكثروا من الاستغفار، وإن الرجل إذا أذنب ذنبا ثم رأى إلى جنبه استغفارا سره مكانه"[٢].

- وعن أبي المنهال قال: "ما جاور عبد في قبره جار خير من استغفار كثير"[٣].

- وقال عبد الله بن شقيق: "الرجل ثلاثة: رجل علم حسنة فهو يرجو ثوابها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، والثالث: الرجل الكذاب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون الخوف غالبا على رجائه"[٤].

- وعن الحسن قال: "إن الرجل يذنب الذنب فلا ينساه وما يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة".

- وعن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول:

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، محمود بن أحمد الفاريابي، هذبه وخرج أحاديثه، محمد خير رمضان يوسف، ص٣٢٤، ج١، ط١ -١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار ابن حزم - بيروت.

(٢) الزهد، لأحمد: ٣٨١.

(٣) من أخبار السلف، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ص٩١، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. مكتبة الرشد، الرياض.

(٤) مصدر سابق.

"اللهم إن استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي سعة عفوك لعجزٌ، فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفيَّ، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين"[1].

– وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا".

– وقال ابن حجر: "المؤمن يغلب عليه الخوف، لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن من العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم، أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيئ، وقال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن، لشدة خوفه من الله ومن عقوبته؛ لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة"[2].

– وقال علي –رضي الله عنه: "العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار".

– قال بعض العلماء: "العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلى الحمد والاستغفار".

---

(١) موسوعة نضر النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ، مجموعة من المختصين، ص٣٠٢، ج٢، ط٥، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م، دار الوسيلة –جدة.
(٢) رواه البخاري، ج٦٣٠٨٢٠، انظر: الفتح: ١٠٥/١١.

- وروي عن عمر -رضي الله عنه- أنه سمع رجلا يقول: "استغفر الله وأتوب إليه"، فقال له: يا حميق، قل: توبة من لا يملك لنفسه ضر ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا.

- وقال بكل المزني: "لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي لكان نوله أن يفعل".

- وقال علي -رضي الله عنه: "خياركم كل مفتن تواب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: حتى متى؟ قال: يكون الشيطان هو المحسور"[١].

- وقيل للحسن البصري: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه، ثم يعود، ثم يستغفر، ثم يعود، فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار، وروي عنه أنه قال: ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين، يعني: أن المؤمن كلما أذنب تاب[٢].

- وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- في خطبته: "من أحسن منكم، فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله، فإنه لابد لأقوام من أن يعملوا أعمالا وظفها الله في رقابهم، وكتبها عليهم. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: أيها الناس من ألم بذنب، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله

---

(١) الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبد الله المطر، ص٩٥، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، دار طويق -الرياض.
(٢) مصدر سابق، ص٩٦.

وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها[1].

- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: من ذكر خطيئة عملها، فوجل قلبه منها، فاستغفر الله عز وجل لم يحبسه شيء حتى يمحوها عنه الرحمن.

- وقال ذو النون المصري -رحمه الله: الاستغفار جامع لمعان:

أولها: الندم على ما مضى.

الثاني: العزم على الترك.

الثالث: أداء ما ضيعت من فرض الله.

الرابع: رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها.

الخامس: إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام.

السادس: إذاقة ألم الطاعة كلما وجدة حلاوة المعصية.

- وقال القرطبي: "قال علماؤنا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: استغفر الله، وقلبه مصر على معصيته، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرة لاحقة بالكبائر".

- وقال بكر بن عبد الله المزين: "أنتم تكثرون من الذنوب،

---

(1) مصدر سابق، ص٩٦.

فاستكثروا من الاستغفار، فإن الرجل إذا وجد صحيفته بين كل سطرين استغفار سره مكان ذلك".

- وفي وصية علي بن الحسن المسلمي: "وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك".

- قال ابن عيينة: "غضب الله داء لا دواء له". وعقب عليه الإمام الذهبي بقوله: دواؤه كثرة الاستغفار بالأسحار والتوبة النصوح".

- وقال ابن بطال: "الأنبياء أشد الناس اجتهادا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره، معترفون له بالتقصير، فكأن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى".

- وقال بعضهم: "إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار، فمن أهمته ذنوبه، أكثر لها من الاستغفار"[1].

- وسئل الأوزاعي عن الاستغفار: أيقول: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه فقال: "إن هذا لحسن، ولكن يقول الرب: أغفر لي حتى يتم الاستغفار".

- قال أبو موسى –رحمه الله: قد كان فيكم أمانان:

---

(1) الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبد الله المطر، ص٩٤، ط١، دار طويق للنشر والتوزيع –الرياض: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١ - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[١].

٢ - ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢].

أحسبه قال: أما النبي ﷺ فقد مضى لسبيله وأما الاستغفار فهو كائن بينكم إلى يوم القيامة[٣].

- قال سفيان بن عيينة: "من صلى الصلوات الخمس فقط شكر الله، ومن استغفر لوالديه أدبار الصلوات فقد شكر الله".

- قال حاتم الأصم: "من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر لا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

الثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء؟

الثالث: ذكر هول المطالع، فلا يدري أن يبشر برضا الله أم بسخطه؟

الرابع: يوم يصدر الناس أشتاتا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به[٤]؟

([١]) سورة الأنفال: ٣٣.

([٢]) سورة الأنفال: ٣٣.

([٣]) مصدر سابق، ص٢٤.

([٤]) إحياء القلوب، أبي عبد الرحمن محمد بن محمود مصطفى الأسكندري، ص١٧٥، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دار ابن حزم -بيروت.

- وقال الحسن البصري: "إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل".

- قال يحيى بن معاذ: "من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط، ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات. ومن خاف النار انصرف عن السيئات".

- وقال ابن تيمية: "إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل عليّ فاستغفر الله تعالى ألف مرة، أو أكثر، أو أقل حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل، وقد أكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي"[1].

دعاء لمغفرة الذنوب

* روي الحافظ النسفي بإسناده عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: مر رسول الله برجل ساجد وهو يقول: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك قِبلَي، فأيما عبد من عبادك، أو أمة من إمائك كانت له قِبلَي مظلمة

---

(١) جبال الذنوب وسيل الغفران، ص٢٤.

ظلمتها إياه من مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمهـــا، ولم استطع أن تحللها فأسألك أن ترضى عني بما شئت، وكيف شـــئت، ثم تهبها لي من لدنك إنك واسع المغفرة ولديك الخير كله، يـــا رب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك فإني لا شيء، وأسألك يا رب أن تكرمني برحمتك، ولا تؤاخذني بـــذنوبي، وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يا رب .. يا الله .. فقال رسول الله ﷺ: «ارفع رأسك فقد غفر الله لك، إن هذا دعاء أخي شعيب –عليه السلام»[١].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنـــه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**»[٢].

* ولقد سمع رسول الله ﷺ رجلا يقول في تشهده: اللـــهم إني أسألك يا الله –وفي رواية: بالله الواحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنـــك أنـــت الغفور الرحيم. فقال ﷺ: «**قد غُفر له ، قد غُفر له**»[٣].

* وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– قال: قال الـــنبي ﷺ: «**ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله، والله أكـــبر، ولا**

(١) كنز الدعاء، أبو الفداء محمد عزت عارف، ص٢٦، ط١، دار الفضيلة –القاهرة– مصر.

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد.

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي.

حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت خطاياه، ولو كانت مثل زبـــد البحر»[1].

* وسمع الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يضجره إلحاح الملحين، أذقني برد عفـــوك، وحـــلاوة مغفرتك، فقال علي –رضي الله عنه– له: والذي نفسي بيده لـــو قلتها وعليك ملء السموات والأرض من الذنوب لغفر لك.

وذلك للمسلم الذي يعبد الله حق عبادته، ولا يصـــر علـــى معصيته، ويتوب إلى الله، ويرجو رحمته ويخشى عذابه.

---

(1) أخرجه الترمذي.

قالوا في الاستغفار

"شعرا"

* قال الشاعر:

إلهـــي: أنـــت الـــذي تهـــب الكـــثير
وتجـــبر القلـــب الكســـير وتغفـــر الـــزلات
وتقـــول: هـــل مـــن تائـــب مســـتغفر
أو ســـــائل أقضـــــى لــــه الحاجــــات

* وقال آخر:

مـــا زلـــت أعـــرف بالإســـاءة دائمـــا
ويكــــون منــــك العفــــو والغفــــران
لم تنقضــــــى إن أســــأت وزدتــــني
حــــتى كــــان إســــاءتي إحســــان
منــــك التفضــــل والتكــــرم والرضــــا
أنــــت الإلــــه المــــنعم المنــــان

* وقال آخر:

فيــا حــيٌّ يــا قيــوم يــا خــير راحــم
ومــن هــو للــزلات والــذنب يغفــر
عصيتك مــن لــؤمي ونفســي ظلمتــها
وذنــبي مــن عمــري يزيــد ويكثــر
ولكــني إن جئــت ذنبــا وزلــة
أرجيــك يــا رحمــن للــهون تجــبر

وتغفــــر لي ذنــــبي وتصـــلح عشــــيتي
وتــــرحم آبـــائي فإنـــك تقـــدر
وأرجـــوك يـــا رحمـــن إذا مـــا ســـترتني
بـــدنياي في يـــوم القيامـــة تســـتر

* وقال آخر:

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة
فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم
إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـن
فـــبمن يلـــوذ ويســـتجر المجـــرم
مـــالي إليـــك وســـيلة إلا الرضـــا
وجميـــل عفـــوك ثم أني مســـلم

* وقال آخر:

ولمـــا قســـا قلـــبي وضـــاقت مـــذاهبي
جعلـــت الرجـــا مـــني لعفـــوك ســـلما
تعـــاظمى ذنـــبي فلمـــا قرنتـــه
بعفـــوك ربي كـــان عفـــوك أعظـــم

* وقال آخر:

يـــا ذا المعـــارج أنـــت الله أســـأله
وأنـــت يـــا رب مـــدعو ومســـؤول
أدعـــوك أدعـــوك يـــا قيـــوم في ظلـــم
وكـــل دال بحلـــو النـــوم مشـــغول

تعطي لمن شئت من يسـألك مـن سـعة
والخـير منـك لمـن نـاداك مبـذول
تغفـر ذنـوبي وتخـتم لي بخاتمـة
ترضـيك عـني وظـني فيـك مـأمول

* وقال آخر:

فيـا أيهـا النـاس ليـوم رحليـه
أراك عـن المـوت المفـرق لاهيـا
ألا تعتـبر بـالراحلين إلى البلـى
وتـركهم الـدنيا جميعـا كمـا هيـا
ولم يخرجـوا إلا بقطـن وخرقـة
ومـا عمـروا مـن منـزل ظـل خاليـا
وأنـت غـدا أو بعـده في دوارهـم
وحيـدا فريـدا في المقـابر ثاويـا

* وقال آخر:

يـا أيهـا المغـرور قـم وانتبـه
قـد فاتـك المطلـوب والركـب سـار
إن كنـت أذنبـت فقـم واعتـذر
إلى كـريم يقبـل الاعتـذار
وانهـض إلى مـولى عظـيم الرجـا
يغفـر باللبـل ذنـوب النـهار

* وقال آخر:

استغفر الله من استغفر الله
من لفظه بدرت خالفت معناها

وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد
سددت بالذنب عند الله مجراها

* وقال آخر:

استغفر الله مما يعلم الله
إن الشقي لمن لا يرحم الله

ما أحلم الله عمن لا يراقبه
كل مسيء ولكن يحلم الله

فاستغفر الله ما كان من زلل
طوبى لمن كف عما يكره الله

طوبى لمن حسنت فيه سريرته
طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

* وقال آخر:

يا ويح قلبي ماله لا يلين
قد أتعب القراء والواعظين

يا نفس كم تبيتين من مرة
وكم تقولين ولا تفعلين

وكم تنادين ولا تسمعي
وكم تقالين فلا ترجعين

حتى متى يا نفس حتى متى
يراك مولاك مع الغافلين
فاستغفري الله لما قد مضى
ثم استحي من خالق العالمين



يا نفس[١]

* يا نفس: كم من يوم قضيته على الشاطئ من أجل المعصية، وكم من موج قد ضرب جسدا عاريا أمامك وكنت تفرحين برؤيته، وكم .. وكم؟

* فالتراب سيشهد عليك، والموج سيشهد عليك يوم القيامة، بل أن أعضاءك ستشهد عليك، كذلك بكل ما فعليته من شر قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٢].

* يا نفس: وكأن الشيطان قد عقد ألف عقدة، فلم تعودي تفكري إلا في شهوتك، وكأنك لم تخلقي إلا لذلك، وتحقق فيك قول الشاعر:

أتفرح بالذنوب وبالمعاصي
وتنسى يوم يؤخذ بالنواصي
وتأتي الذنب عمد لا تبالي
ورب العالمين عليك حاصي

* يا نفس: تدبري أمرك وتأملي لقد ضللت طريق الهدى والهوى عليك وليس لي، أريد حياة النفس، والنفس تريد مقتلي.

* يا نفس: إنك إذا أصبحت، طلبت بالمعاش الشهوات، وإذا

---

(١) جبال الذنوب وسيل الغفران، أبو طلحة محمد يونس عبد الستار ص٦٨.
(٢) سورة النور: ٢٤.

أمسيت انقلبت إلى فراش الغفلات، أين أنت؟ من أقـــوام نصـــبوا الآخرة نصب أعينهم فنصبوا.

* يا نفس:

كم درهم ربا قد أكلت؟

وكم كأس من الخمر قد شربت؟

وكم فتاة معها قد سهرت؟

وكم صلاة لله قد ضيعت؟

وكم صيام للرب قد هجرت؟

وكم أسرعت فيما يؤذي دينك دأبت؟

كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت؟

كم فاتك من خير، وما أكتأبت؟

ويا كاسب الخطايا، بئس ما كسب؟

جمعت جملة من حسناتك، ثم اغتبت؟

يا عقرب الأذى كم لدغت، كم سببت؟

تعلم أن مولاك يراك، وما تأدبت؟

تؤثر ما يغني على ما يبقى، وما أصبت؟

تصبح تائبا، فإذا أمسيت كذبت؟

تأنس بالدنيا وغرورها، وقد جربت؟

كأنك بك بالقبر تبكي ما كسبت؟

قوله: "وكم فتاة معها قد سهرت"؟ قال الأخ: فما فكرت آنذاك أنها مثل بناتك وابنة أخيك المسلم أو غيره، فانتبه أيها الغافل على مكافأة الأعمال وقصاصها، فمن ظلم ظُلم، وقد ضحك ضُحك.

* وكم تدين تدان، وصدق الله العظيم: ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1].

وما من يد إلا ويد الله فوقها
ولا ظالم إلا سيبلي بظالم

* يا نفس: بادري بالأوقات قبل انصرافها واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها فكأنك بالقبور وقد تشققت، وبالأمور وقد تحققت، وبوجوه المتقين وقد أشرقت وبرؤوس العصاة وقد أطرقت.

يا نفس أما الورعون فقد جدوا وأما الخائفون فقد استعدوا وأما الصالحون فقد راحوا. وأما الواعظون فقد صاحوا، العلم لا يحصل إلا بالنصب، والمال لا يجمع إلا بالتعب، وأسم الجواد لا يناله بخيل ولا يلقب بالشجاع إلا بعد تعب طويل.

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

- فيا خيبة من ضاع منه الليالي والأيام.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٩.

- ويا حسرة من انسلخ عنه بقبائح الآثام.

- ويا خسارة من كانت تجارته فيه الذنوب.

- ويا ندامة من لم يتب إلى علام الغيوب.

- كيف يكون الإبعاد إذا قرب المخلصون.

- يا لها حسرة لا تنقضي أبد الآباد.

- وندامة لا ينقطع كمدها يوم التناد.

فتيقظوا رحمكم الله وإياي، فالعبد بمرأى منكم ومسمع، وطالما ناداكم لسان الزواجر فاسمع ..

فعجلوا بالتوبة والاستغفار -عباد الله- فكم من لسان زاجر نادانا وما نسمع؟ فلابد أن ننافس المتنافسين بكثرة الاستغفار، ولابد أن نشمر مع المشمرين بصدق التوبة حتى يجازينا الله بالجنان إذا تسابقنا إليه بالمغفرة: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[١].

أخرج الدينوري وابن عساكر عن كميل بن زياد قال: خرجت مع علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- فالتفت إلى المقبرة فقال: يا أهل القبور، يا أهل البلى! يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم؟ فإن الخبر عندنا: قد قسمت الأموال، وأيتمت الأولاد، واستبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا فما الخبر عندكم؟ ثم التفت

(١) سورة الحديد: ٢١.

إلي فقال: يا كميل: أو أذن الله لهم في الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى، ثم بكى، وقال: يا كميل: القبر صندوق العمل وعند الموت يأتيك الخير.

والذي نفسي بيده لو كان أحدهم تائبا في كل حين لما ندم في قبره إن شاء الله والندم تحت الأرض غير الندم فوق الأرض، اللـــهم إنا نعوذ بك من الندم تحت الأرض.

قم وانهض وأسأل الله

روى في السنن عن علي بن أبي طالب –عن أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يـــذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين ويســـتغفر الله إلا غفر له**». وقرأ هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُـــوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[١] [٢].

إذاً قم وانهض وامسح عن قلبك ران البعد، وواظـــب علـــى الطاعة ثم رجاء الله فهل ينبت البذر دون تفقد الأرض؟

عزيمة وإرادة تصميم وشجاعة، تجاهد بها جيوش إبليس، فقـــد قطع على نفسه العهد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَـــالَ فَبِعِزَّتِـــكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٣) سورة ص: ٨٢-٨٣.

وفي المقابل ذكر الله عز وجل: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[1]، قم واسأل الله أن يشرح صدرك فقد سأله موسى — عليه السلام– وهو نبي قال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾[2]. عندما أراد أن يواجه فرعون الظالم الطاغية.

قلها وواجه عدوك إبليس بها، وحطم سلاسله الغلاظ بنور التوحيد، قل في تسليم ويقين: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

استعن بالله ولا تعجز، استأنف المسير، حطم ظلام الماضي تعهد نفسك، راجع سجلات حياتك، واطمس ظلمة المعاصي بنور الصلاة والإيمان.

صحح توبتك واستغفر ربك على ما مضى، ولا يكن استغفارك بلسانك فقط حتى ينطبق عليك قول القائل:

استغفر الله من استغفر الله
من لفظه بدرت خالفت معناها
وكيف أرجو إجابات الدعاء وقد
سددت بالذنب عند الله مجراها

أسع في فكاك رقبتك، فالمولى عز وجل يقول: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[3].

---

(1) سورة النساء: ٧٦.
(2) سورة طه: ٢٥.
(3) سورة آل عمران: ٣٠.

قم الآن توضأ وتتطهر فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المستغفرين، قم طهر سرك وقلبك، ماذا تنتظر؟ لا يكن قلبك بليدا لا يستيقظ إلا إذا حل به البلاء، ألا تحب الله؟ ألست مشتاقا لمناجاته؟ ألست بحاجة لمن تأنس بقربه؟ ألا تريد أن يسكن قلبك ويطمئن من قلقه؟

إذاً لا تدع قلبك أرضا صلبة سبخة لا تقبل بذرا ولا تمسك ماء ولا تنبت زرعا وثق في أن الله سيبدل سيئاتك حسنات إذا تبت توبة نصوحا يقول الله سبحانه: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى حتى يخرج إلى الأرض**»[٢].

إذاً قم جرب، انطرح بين يديه، وقل: اللهم إني عائد إليك فاقبلني، فهو كريم غفور رحيم.

الجأ إليه .. وقل: يا رب يا من تحب التوابين والمستغفرين إني تائب فاغفر لي.

قل: يا من بذكره تطمئن القلوب اجعلني من الذاكرين.

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) أحمد والطبراني.

قل: يا من خشعت له قلوب المحبين اجعلني من أحبابك الخاشعين.

اصرف جهدك كله لله، تضرع إليه بالدعاء، واسأله أن يثبتك، لأن العمر سريع الزوال، فقد أكون أنا وأنت الليلة أو غدا من أهل القبور.

حطم إبليس وجنوده وعقباته، وحطم قياده، فلكل ذات إنسانية سلاحها، وسلاح المسلم صلاته وإيمانه واستغفاره ينمو بنموها ويضمر بضمورها.

سلام عليكم يا من كنتم لا تصلون، سلام عليكم يا من كنتم تذنبون وتعصون فالله سيغفر لكم إذا رجعتم وأخلصتم لله وعزمتم نادمين على ألا تفرطوا في إيمانكم وفي صلاتكم.

وستباشر السكينة قلوبكم إن شاء الله ويسكن خوفكم وتهدأ نفوسكم، وستخرجون بإذن الله من دائرة قوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾[1].

ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على خواص خلقه بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**﴾[2]. ويقول سبحانه مخوفا أولياءه من النار: ﴿**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ**

---

(١) سورة الماعون: ٤-٥.

(٢) سورة الفرقان: ٦٥.

فَاتَّقُونِ﴾[١].

إذاً أيها السائر في طريق الحياة، جهاد النفس، طويل، وطريق محفوف بالمكاره، مذاقه مر وملمسه خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين والمستغفرين حتى تحط رحالك في جنات عدت، فالآن نادي بنداء الإيمان الصادق وردده بيقين: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**﴾[٢] [٣].

* * *

(١) سورة الزمر: ١٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٣.

(٣) احترز وكن من أهلها، خيرية محسن الحارث، ص٤١-٤٥، ط١، ١٤٢٩هـ - الناشر نفسها.

الخاتمــة

يا عبد الله اجعل الاستغفار شعارك بعــد الطاعــة .. وبعــد الذنب، وبعد نهاية اليوم وفي بدايته، ففائدته بعد الطاعــة: أنــه لا يحملك على الغرور بكثرة الحسنات والطاعات وتذكر أنك العبــد المذنب المقصر مهما عملت ويحثك على المزيد. وعــدم الركــون والاغترار بالعمل ومحاولة مضاعفة الجهد والتصحيح دائما، وأما بعد الذنب: فإنه يمحوه حتى لا يبقى له أثرا، وحتى لا يؤثر بقاؤه علــى القلب فيكون حجابا بين القلب وبين الانتفاع بــالقرآن الكــريم والسنة النبوية ومواعظ خير الأمة، فيركن إلى المعاصــي ويحبــها، ويبتعد عن الطاعات ويبغضها، فيمرض القلــب ويكســل وأمــا الاستغفار فيبعث النشاط والصحة في القلب، فالقلــب إذا كـــان سليما نشيطا على الطاعة بعيدا عن الآثام والذنوب كان حيا رقيقا أبيضا نقيا، تؤثر فيه أدنى موعظة وينشط لأشق طاعة، وإن كـــان ليس في الطاعات بحمد الله مشقة.

وفي الختام ربنا تقبل من إنك أنت السميع العليم وتب علينــا إنك أنت التواب الرحيم.

تم بحمد الله وتوفيقه إنجاز هذا الكتاب من سلسلة رد الــبلاء (٤) (رد البلاء بالاستغفار) ويليه رقم (٥) رد البلاء بالصبر إن شاء الله قريبا.

سبحانك اللهم وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت أســتغفرك وأتوب إليك. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

- القرآن الكريم.

- التفسير الميسر للشيخ الدكتور عائض القرني، إصدار مكتبة العبيكان.

- تفسير الطبري.

- أحاديث الرسول ﷺ.

- منهاج السنة النبوية لابن تيمية.

- ق والقرآن المجيد، مدينة الطيبات العالمية للعلوم والمعرفة، جدة.

- تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبد الغني النابلسي، دار المعرفة –بيروت.

- هكذا هزموا اليأس، سلوى العضيدان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الناشر نفسها.

- فقه الابتلاء، محمد أبو صعيليك، عمان، الأردن، دار البيارق.

- الإيمان والحياة، الشيخ الدكتور، يوسف القرضاوي.

- موسوعة نضرة النعيم، مجموعة من المختصين دار الوسيلة، جدة.

- مفتاح دار السعادة لابن القيم.

- بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي، الجزء الثاني.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الجزء١٤.

- خواطر الشيخ الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار ابن خزيمة —الرياض.

- الأحاديث القدسية، دار الدعوة —الإسكندرية- ١٢١٤هـ-٢٠٠٣م.

- كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عماد الأقفهسي، تحقيق، محمد خير رمضان يوسف، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، دار ابن حزم —بيروت

- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك.

- موسوعة روائع الدعاء والأذكار، أحمد بن سالم بادويلان، دار طويق للنشر والتوزيع —الرياض.

-الاستغفار أهميته وحاجة العبد إليه، ابن تيمية: ١٤٢٠هـ، دار القاسم —الرياض.

- حدائق ذات بهجة — الشيخ الدكتور، عائض القرني.

- حياة البرزخ، طلال مكي الخيمي، ١٤٢٩هـ.

- إبليس خطيب جهنم، أحمد بادويلان، ١٤٢٨هـ، دار طويق —الرياض.

- المنتقى من الفوائد الإيمانية، مصطفى حقي، دار طويق ١٤٢٤هـ، الرياض.

- شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، الشيخ سعيد بن علي ابن وهف القحطاني، مؤسسة الجريسي: ١٤٢٧هـ، ط١.

- جبال الذنوب وسيل الغفران، الشيخ أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار: ١٤٢٠هـ- ط٤، الناشر نفسه –مكة المكرمة.

- موقع منتدى الكلمة الطيبة.

- لا تحزن الشيخ الدكتور: عائض القرني، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان –الرياض.

- التداوي بالاستغفار، حسن بن أحمد همام، دار الحضارة – الرياض. ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

- بستان الواعظين ورياض السامعين، تحقيق مجدي الشهاوي، ط١، ١٩٩٤م.

- تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، محمود بن أحمد الفارياني، هذبه وخرج أحاديث، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت.

- منتديات نسيج.

- دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، جدة.

- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي.

- شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة محمد يونس عبد الستار، ط٣، ١٤٢٨هـ، مكة المكرمة.

- من أخبار السلف، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ط١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

- موسوعة أقوال الحكماء، موسى بن راشد البهدل، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار طويق للنشر والتوزيع –الرياض.

- الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبد الله المطر، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، دار طويق –الرياض.

- احترز وكن من أهلها، خيرية محسن الحارثي، ط١، ١٤٢٩ه، الناشر نفسها.



الفهرس